الفصل الثالث

التوراة والديانة اليهودية

1 ـ تمهيد:

يتفق الباحثون عموما على أن التوراة التي تمثل الديانة اليهودية مقتبسة من أصول قديمة، وهى تعتمد على ثقافة الكنعانيين والمصريين والبابليين بالدرجة الأولى، ومع أنها تركز على تاريخ اليهود فهى تنقل من خلال عرضها للحوادث معلومات جغرافية وتاريخية هامة عن أسماء المدن والأماكن والشخصيات الكنعانية القديمة في فلسطين كما كانت عليه قبل غزو قوم موسى إياها في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، لذلك يتحتم علينا عرض نبذة عن تاريخ التوراة والديانة اليهودية.

تقوم الديانة اليهودية [1] على مصدرين أساسيين أولهما الأساس وهو التوراة، ويعرف أيضا بالعهد القديم أوالعهد العتيق لتمييزه عن العهد الجديد (الإنجيل) والعهد القديم مقدس عند اليهود وعند المسيحيين على السواء ويعتبر جزءا من الديانة المسيحية ويسمى كلا العهدين، العتيق والجديد، " الكتاب المقدس ". أما المصدر الثانى فهو " التلمود " ومعناه التعاليم أوالشرح والتفسير ويشتمل على مجموعة الشرائع اليهودية وشروح وتعليقات على التوراة وضعها علماء اليهود الأحبار والحاخامون بعد المسيح فبنوا عليها سننا وآدابا أصبحت على مر الزمن محل تقديس عند اليهود كالتوراة. لذلك لم يرد أى ذكر للتلمود لا في الأناجيل ولا في الحوار بين المسيحيين والفرق اليهودية كما أنه لم يرد ذكر للتلمود لا في القرآن الكريم ولا في الأحاديث النبوية.

2 ـ العهد القديم من " الكتاب المقدس " [2] التوراة:

(1) نقول: الديانة اليهودية ولا نقول: الإسرائيلية لأن اليهود ودورهم في التاريخ - كما نفهمه - هم غير بنى إسرائيل الذين يرجعون إلى عهد إبراهيم الخليل كما سنوضح ذلك فيما بعد.

(2) وضعت هذه الدراسة بالنسبة " للكتاب المقدس " الترجمة البروتستانية الكاملة إصدار لجنة التوراة الأمريكانية وطباعة مطبعة الجامعة الأمريكانية في بيروت باعتباره المرجع الأساسى (راجع تنبيهنا في مطلع الكتاب). ولكن لما كان " الكتاب المقدس " إصدار وطباعة المطبعة الكاثوليكية لعام 1961، هو أيضا أحد مراجع هذا الكتاب فقد أشرنا إلى الفروق بين الطبعتين بوصفهما الطبعتان الأكثر تداولا في الشرق بدون

يتألف العهد القديم من الكتاب المقدس أو ما يسمى بالتوراة وبالعبرية " توره " أى " الهدى والإرشاد " من 39 سفرا [1]، ويقسم إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول منه يتألف من خمسة أسفار، وهى:

1- سفر التكوين Genesis.
2- سفر الخروج Exodus.
3- سفر اللاويين [2] Leviticus.
4- سفر العدد Numbers.
5- سفر التثنية Deuteronome.

وقد أطلق على هذه الأسفار الخمسة الأولى اسم " كتب موسى الخمسة " وقد سميت باليونانية Pentatichus " بنتاتيك " أى الكتاب ذو الأسفار الخمسة وقد انتقلت هذه اللفظة اللاتينية إلى معظم اللغات العصرية، وتطلق أحيانا لفظة " التوراة " على الأسفار الخمسة باعتبارها في بعض المذاهب الأسفار التي تعود إلى عهد النبى موسى. وقد نسق العهد القديم على أساس تسمية كل سفر حسب محتواه، فسمى السفر الأول " التكوين " لأنه يصف الخليقة وبدء العالم والشعب المختار بنوع خاص، ودعى الثانى سفر الخروج لأنه يتحدث عن خروج من سمو أنفسهم " بنى إسرائيل " من مصر وعن الوحى على جبل سيناء، وقد دونت أحكام الشريعة ومن ضمنها الوصايا العشر في الإصحاح العشرين من هذا السفر [3]. والثالث " سفر اللاويين " ويحتوى على طقوس الكهنة أبناء لاوى، وأطلق على الرابع اسم " سفر العدد " لما تضمنه من إحصاءات الشعب المختار، وتنتهى هذه

المقارنة بينهما لأن كل مقارنة بين الاثنتين بعيدة عن مرمى هذا الكتاب. (انظر فيما يلى ترجمات " الكتاب المقدس " العربية الكاملة).

(1) 46 سطرا حسب الترجمة الكاثوليكية.

(2) سفر الأحبار حسب الترجمة الكاثوليكية.

(3) الوصايا العشر:

أنا الرب إلهك، فلا يكن لك آلهة أخرى أمامى (خر ن 20: 2 - 3)، لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما (خر، 20: 4)؛ لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا (خر، 20: 7)؛ اذكر يوم السبت لتقدسه (خر، 20: 8)؛ أكرم أباك وأمك (خر 20: 12)؛ لا تقتل (خر، 20: 13)؛ لا تزن (خر، 20: 14)، لا تسرق (خر، 20: 15)؛ لا تشهد بالزور (خر، 20: 16)؛ لا تشته بيت قريبك ولا شيئا مما يملك (خر، 20: 17).

المجموعة بـ " سفر تثنية الاشتراع " الذي يبدو كتكرار وتتمة لشريعة موسى. وقد تضمن السفران الأخيران وصفا للفتح الذي تم على يد النبى موسى في الجانب الشرقى من الأردن وتوزيع الأراضى المستولى عليها على سبطين ونصف سبط. وقد جاءت هذه المجموعة على مزيج من القصص والشرائع تربط سياق الحوادث منذ خلق العالم حتى موت النبي موسى.

أما القسم الثانى وهو المسمى " نبييم " أى الأنبياء فيشتمل على مجموعتين الأولى خاصة بالأنبياء الأول والثانية بالأنبياء المتأخرين، وتتناول الأولى تاريخ بنى إسرائيل من دخول يشوع فلسطين حتى هدم الهيكل في بيت المقدس وهذه الأسفار هى:

1- سفر يشوع ويحتوى على تفاصيل توغل الموسويين في فلسطين (الجانب الغربى من الأردن) وتقسيم الأراضى التي تم فتحها على تسعة أسباط ونصف.

2- سفر القضاة ويشمل فترة عهد القضاة بين موت يشوع وولادة صموئيل.

3، 4 - سفرا صموئيل الأول والثانى - الأول خاص بتاريخ صموئيل وشاؤل والقسم الأول من عهد داود والثانى خاص بحكم داود [1].

5، 6 سفرا الملك الأول والثانى - ويبحثان في الفترة من موت داود حتى بدء السبى البابلى [2].

7، 8 - سفرا أخبار الأيام الأول وأخبار الأيام الثانى - وهما كناية عن وثائق غير مصنفة وسلالات نسب وأجزاء روائية من آدم حتى بداية عهد قورش.

والمجموعة الثانية الخاصة بالأنبياء المتأخرين تتألف من 14 سفرا هى: أشعيا وأرميا وحزقيال ويوئيل وعاموس وعوبديا ويونان وميخا وناحوم [3] حبقوق وصفنيا وحجى [4] وزكريا وملاخى.

وأما القسم الثالث فيسمى " كتوبيم " (الكتابات والأشعار) ويتألف من اثنى

(1) سفرا الملوك الأول والثانى حسب الترجمة الكاثوليكية.
(2) سفرا الملوك الثالث والرابع حسب الترجمة الكاثوليكية.
(3) نحوم حسب الترجمة الكاثوليكية.
(4) حجاى حسب الترجمة الكاثوليكية.

عشر سفرا هى: مزامير داود وأمثال سليمان وأيوب ونشيد الإنشاء [1]، وراعوث وهو شع ومراثى أرميا والجامعة وأستير ودانيال وعزرا ونحميا.

وعلى هذا يكون العهد القديم مؤلفا من 39 سفرا ومقسما إلى ثلاثة أقسام هى: البنتاتيك والنبييم والكتوبيم [2].

وتعتبر الديانة اليهودية ديانة كهنوتية إذ أن الكهنة هم الذين يقومون بتفسير التوراة ذاتها، وهم الواسطة بين اليهود وإلههم " يهوه " وهم الذين ينفذون الشريعة ويوجهون الشعب اليهودى في ممارسة شعائرهم الدينية، وكانت وظيفة الكهان عندهم وراثية وقد حصرت في نسل هارون وهم اللاويون على قول التوراة [3].

وقد لعب مجمعهم الدينى الأعلى المسمى بالسنهدرين دورا رئيسيا في حياة اليهود الدينية والاجتماعية والسياسية في الفترة التي تلت رجوع اليهود من السبى البابلى وخاصة فيما يتعلق بمحاكمة السيد المسيح عليه السلام.

---

(1) نشيد الأناشيد حسب الطبعة الكاثوليكية.

(2) الطبعة الكاثوليكية تضم 46 سفرا وتقسم العهد القديم إلى أربعة أقسام، وهذه الأقسام هى:

=

=أ - الكتاب ذو الخمسة أسفار (البانتيك) ويتألف من الأسفار الخمسة الأولى (التكوين، الخروج، الأحبار، العدد وأخيرا تثنية الاشتراع).

ب - كتب التاريخ وتشمل أسفار (يشوع، قضاة، راعوت، أسفار الملوك الأول والثانى والثالث والرابع، سفرى أحبار الأيام الأول والثانى، عزرا، نحميا، طوبيا، يهوديت، استبر وأخيرا سفرى المكابيين الأول والثانى وعددها 16 سفرا).

جـ - كتب الشعر والحكم وتشمل أسفار (أيوب، المزامير، الأمثال، الجامعة، نشيد الأناشيد، الحكمة وأخيرا يشوع بن سيراخ) وعددها 7 أسفار.

د - الأنبياء وتشمل أسفار (أشعيا، إرميا، مراثى إرميا، باروك، حزقيال دانيال، هوشع، يوئيل، عاموس، عوبيديا يونان، ميخا، نحوم، حبقوق، صفنيا، حجاى، زكريا وأخيرا ملاخى) وعددها 18 سفرا، وهكذا يصبح عدد أسفار العهد القديم في الترجمة الكاثوليكية 46 سفرا أى بزيادة 7 أسفار من الترجمة البروتستانية والأسفار الزائدة هى: يهوديت، طوبيا، مكابيين أول وثانى، حكمة، يشوع بن سيراخ وأخيرا باروك.

ورأى الكنيستين في هذه الأسفار كما هو مبين في كلامنا عن ترجمات " الكتاب المقدس " العربية الكاملة.

(3) (خر، ص 18)؛ (عد، ص 16).

3 ـ السنهدرين المجمع الدينى الأعلى:

" السنهدرين " وفى بعض الأحيان يكتب خطأ بالميم (سنهدريم) هو المجلس العلمى الدينى الأعلى عند اليهود. وأصل الاصطلاح يونانى ومعناه المجلس، ظهر في زمن خلفاء الإسكندر في أورشليم حيث كانت المنطقة اليهودية بعد الرجوع من السبى بين المد والجذر فتارة كانت تقع تحت نفوذ البطالسة في مصر وتارة أخرى تكون تابعة لسلطة السلوقيين في سورية، واستمرت الحالة كذلك حتى ظهور المكابيين ومن بعدهم الرومان على مسرح الأحداث.

وقد بقى السنهدرين قائما في العهد الرومانى حتى إلغائه سنة 70م، عندما هدمت أورشليم وهكيلها فانتقل أعضاؤه إلى بلدة " يبنة " قرب يافا ومن " يبنة " إلى طبرية، وفى عهد الإمبراطور أنتونينس بيوس (138 - 161 م) أعيد تشكيل السنهدرين في الجليل في بلدة " أوشا " وقد بقى منصب رئاسة السنهدرين وراثيا في عائلة هليل أكثر من ثلاثة قرون.

ويحاول الكُتَّاب اليهود جعل بداية وجود السنهدرين منذ الرجوع من السبى على الأقل أى إرجاعه إلى أواخر القرن السادس قبل الميلاد، وأما التقليد اليهودى فيعتبر أن أول سنهدرين وجد كان في عهد النبى موسى عندما دعا إليه السبعين رجلا ليعملوا معه لما قام أتباعه يتذمرون ويطالبون بالعودة إلى مصر [1]. وكانت تتمثل في السنهدرين فئتان، الفئة الأولى (سادوسى) وهى الفئة المتمسكة بتعاليم الدين ومهمتها حمل الناس على الزهد والتعبد، والفئة الثانية وتسمى (بيروشيم) وهى التي تدفع الناس إلى ناحية العمل أو الكسب والإثراء ليصبح الشعب اليهودى ذا قوة مادية.

وكانت صلاحية السنهدرين تضيق وتتسع من وقت إلى آخر حسب إرادة الرومان بعد احتلالهم سورية سنة 64 ق.م وقد منح الرومان السنهدرين صلاحيات دينية واجتماعية واسعة شريطة عدم تأثير ذلك على المصالح السياسية الرومانية والسنهدرين هو الذي قام بمحاكمة السيد المسيح ومن ثم بصلبه سنة 29 ب.م على ما جاءت به الأخبار [2].

وكان السنهدرين عندئذ في أقصى ما وصل إليه من نفوذ وصلاحيات. وكان يتألف حينذاك من 71 عضوا وكلهم من كبار الكهنة والشيوخ وأشهر الحاخاميين،

(1) (عد، 11: 16 - 17، 24).
(2) (مر، 14: 53 - 64)؛ (مت، 26: 56 - 68).

وكان يحصل النصاب فيه بحضور 23 عضوا، ولما عين " غابينوس " أول وال رومانى على سورية سنة 57 ق.م قسم المنطقة اليهودية إلى خمسة أقسام وأقام في كل منها سنهدرين محلى مؤلف من سبعة أعضاء وقد سمى السنهدرين الرئيسى في أورشليم السنهدرين الأعلى تمييزا له عن الهيئات المحلية [1].

4 ـ فئة من اليهود لا تعترف بغير الأسفار الخمسة الأولى من التوراة:

وتوجد هناك فئة قليلة من اليهود لا تعترف من التوراة بغير الأسفار الخمسة الأولى المنسوبة إلى النبى موسى، وتعرف هذه الطائفة السامرية نسبة إلى السامرة وهم يسكنون في نابلس (شكيم القديمة)، وتوجد لديهم نسخة قديمة من الأسفار الخمسة على رق يدعون بأنها ترجع إلى ما قبل عهد المسيح، وهم يرفضون كل ما عداها وما يزالون يتمسكون بها حتى اليوم، وقد استقلت تلك الفئة بكيانها الدينى، وعمل اليهود على إخراجهما من الحظيرة اليهودية فلم يفلحوا، وقد بنت لها هيكلا خاصا بها على جبل " جرزيم " عند نابلس واعتبرته بمثابة " جبل الطور " وقد قام بينها وبين اليهود عداء استمر قرونا حتى راح السامريون أحيانا يعينون في كثير من الأحيان من يريد ضرب اليهود من الغزاة.

ويعتقد أن هؤلاء السامريين هم بقايا الجماعات التي نقلها الأشوريون من بابل وعيلام وسورية وبلاد العرب ليحلوا محل اليهود الذين تم سبيهم إلى أماكن بعيدة فاختلطوا مع اليهود الباقين وتكونت منهم هذه الفئة المسماة بالسامريين أو " السامرة " كما سماهم بعض المؤرخين. وقد تم عزل عزل هذه الطائفة عن المجتمع اليهودى كليا بعد رجوع اليهود من السبى البابلى وحرمت من التزاوج مع اليهود والاختلاط بهم، ولا تزال بقايا من هذه الطائفة موجودة حتى هذا اليوم في نابلس ولا يتجاوز عدد أفرادها المئتى نسمة ولغتهم هى العربية [2].

وفى رواية للبيرونى المتوفة سنة 440 هـ (1048م) أن السامريين هم الذين أعانوا نبوخذ نصر ودلوه على نقاط الضعف عند اليهود حين غزا مملكة يهوذا

---

(1) انظر:

S.B. Hoenig, "The Great Sanhedrin", "Sanhedrin", Ency. Brit. (1965, 19: 945A); Rabbi M.A. Gutstein, "Sangedrin", in Collier Encyclopedia (1957), Vol. 17, p. 324.

(2) Hitti, "History of Syria", PP. 197 - 198.

وسبى اليهود إلى بابل لذلك لم يمسهم بأذى، وقال في ذلك ما نصه: " السامرة هم المعروفون باللاسامية وهم الأبدال الذين بلدهم بختنصر بالشام حين أسر اليهود.. وكان السامرة قد أعانوه ودلوه على عورات بنى إسرائيل فلم يحركهم ولم يقتلهم ولم يسبهم وأنزلهم فلسطين من تحت يده... وعامتهم يكونون بموضع من فلسطين يسمى نابلس وبها كنائسهم.. ولا يمسهم الناس وإذا مسوهم اغتسلوا ولا يقرون بنبوة من كان بعد موسى من أنبياء بنى إسرائيل " (1).

ولقد أوردت مجلة العربى، في استطلاع مصور لها عن مدينة نابلس، أحدث المعلومات عن هذه الطائفة السامرية تحت عنوان " السامريون: طائفة لا نظير لها في العالم) ومعه صور ملونة بديعة واحدة لجبل جرزيم أو جبل الطور الذي تقول عنه إنه الجبل الذي دعا الرب سيدنا إبراهيم الخليل لتقديم ولده الوحيد عليه، وأخرى لأحد كهنة هذه الطائفة حاملا بيديه الكتاب المقدس الخاص بها وهو الكتاب المعروف بالكتاب ذى الأسفار الخمسة وثالثة لثلاثة من رؤساء عشائرها في نابلس يحملون كتابهم المقدس الذي يقولون عنه أنه التوراة الحقيقية. ورابعة غير ملونة لرجل سامرى يقف فوق جبل جرزيم. وهذا ما نشرته مجلة العربى عن هذه الطائفة بالحرف الواحد:

" وتقيم في مدينة نابلس طائفة السامريين، وهى طائفة كانت دوما في تاريخها القديم في صراع مع اليهود ومع الرومان. وقد قاموا بثورات زمن الإمبراطوري زينو (474 - 491 م) فطردهم من مقرهم في جبلهم المقدس جزريم وبنى فيه كنيسة، وثاروا زمن الإمبراطور جوستنيان فنكل بهم، ودمر معبدهم وأقام كنائس في المدينة، فهرب بعضهم إلى إيران، واعتنق البعض الآخر المسيحية.

" بعد الفتح العربى عاد السامريون إلى نابلس وعاشوا في أمان، وعادوا يقيمون طقوسهم بحرية تامة ".

" وطائفة السامريين من أقل الطوائف على وجه الأرض عددا، إذ يبلغ مجموع أفرادها 337 شخصا بين ذكور وإناث، وقد مر عليهم وقت غير بعيد لم يزد عددهم فيه عن 100 نفس متفرقين في قرى مختلفة، وقبل 350 سنة لم يكن قد بقى منهم سوى خمسة ذكور وخمسة إناث لا غير، فجمعهم الكاهن صدفة في نابلس بعد أن كانوا يعيشون متفرقين في دمشق وغزة ومصر، ويرى السامريون

(1) " الآثار الباقية في القرون الخالية "، طبعة ليزيك، 1932، ص 21.

أنهم ورثة بنى إسرائيل جميعا وحماة التوراة العاملون بتعاليمها ووصاياها العشر وأن الله قد اختارهم، وأنهم هم البقية الباقية من أولاد يعقوب عليه السلام.

" وتقوم عقيدة السامريين على خمسة أركان: وحدانية الله، ونبوءة موسى عليه السلام، وقداسة جبل جرزيم، والإيمان بأن التوراة (الخمسة أسفار الأولى من العهد القديم) منزلة من الله، والإيمان بيوم الدينونة والبعث وأنه لا ريب فيه " (1).

والغريب هنا أن هؤلاء السامريين يرجعون أصلهم مثل ما فعل اليهود،إلى يعقوب (إسرائيل) في حين أنهم كما تؤكد بعض المظان التاريخية، من بقايا الأقوام التي حلت محل اليهود المسبيين كما أن اليهود هم من بقايا قوم موسى المصريين الأصل، وفى الفقرات الآتية شرح لذلك.

وهناك فرقة يهودية مؤلفة من طبقة الكهنة وبعض الكتبة تسمى بالصدوقيين نسبة إلى رائدهم الأول " صدقة " وقد ظهرت في زمن السلوقيين، وهؤلاء لا يقرون ما يأتى به الشيوخ والكتبة مما هو خارج عن الوحى المدون في أسفار التوراة الخمسة المنسوبة لموسى، ويقولون علينا أن لا نراعى إلا ما ورد في النص المدون ولا نأخذ بما جاءت به التقاليد الشفوية الموروثة عن الآباء والأجداد، وهم في ذلك يقفون مع السامريين على صعيد واحد (2).

5 ـ تاريخ التوراة، لغتها، مكان وزمان ظهورها:

إن البحث في هذا الموضوع يحتاج أولا إلى توضيح نقطة مهمة تدول حول استعمال مصطلح بنى إسرائيل كما جاء في التوراة: فالتوراة اعتبرت بنى إسرائيل الموضوع الرئيسى الذي ترتكز عليه جميع الحوادث الواردة فيها، وقد عدتهم موجودين في كل زمان ومكان حتى في الأدوار التي سبقت ظهورهم إلى عالم الوجود، فقد اعتبرت وجودهم في دور إبراهيم الخليل في القرن التاسع عشر قبل الميلاد قبل أن يخلق يعقوب (إسرائيل)، كما أنها اعتبرت وجودهم بعد عهد أبيهم يعقوب بحوالى ستمائة سنة، أى في عهد النبى موسى عندما نزحت جماعته من مصر إلى أرض فلسطين في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ثم اعتبرت وجودهم في جميع الأدوار التالية ومن ضمنها عهد الملوك وعهد الانقسام وما تلا

(1) راجع العدد 29 (إبريل 1961)، ص 81 / 84 - 87.
(2) انظر: " بروتوكولات حكماء صهيون "، للأستاذ عجاج نويهض، م2، ص 98 - 101، 134 - 135.

ذلك. وحتى يهود العالم اليوم هم، على رأى التوراة، نفس أبناء يعقوب الذي عاش قبل 3700 سنة، فيا لغرابة هذا المنطق!!...

أما إذا أردنا تتبع الأدوار التاريخية حسب تسلسلها الزمنى فيتوجب علينا التمييز بين عصر إبراهيم الخليل ويعقوب (إسرائيل) وبين زمن قوم موسى وبين زمن مملكة يهوذا التي جاء اسم " يهود " منها، وذلك حسب أدوارهم كما ذكرهم القرآن الكريم بهذه التسميات الثلاثة. فإبراهيم الخليل عاش في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وكانت اللغة في زمنه لغة واحدة (اللغة الأم) يتكلم بها أبناء الجزيرة العربية المنتشرون في أنحاء الشرق الأدنى، وذلك قبل أن تتفرق هذه اللغة إلى اللهجات الكنعانية والأرامية والعبرية وغيرها. وهكذا كانت لغة العشائر الأرامية التي كانت ينتمى إليها إبراهيم الخليل هى نفس اللغة التي كان يتكلم بها الكنعانيون وهى قريبة جدا من اللغة الأم قبل أن تنفصل إلى عدة لهجات.

أما حفيده يعقوب (إسرائيل) فالأرجح أنه كان يتكلم نفس اللغة الكنعانية الأرامية وهو أرامى مثل إبراهيم بحكم النسب. كما أنه من الأرجح أن أبناء يعقوب في زمن يعقوب على الأقل كانوا يتكلمون نفس اللغة الكنعانية الأرامية. وهذا هو الدور الذي يمكن تسميته بالدور الأول الذي عاش فيه إبراهمي الخليل وحفيده يعقوب. وهؤلاء كلهم يدينون بدين إبراهيم عليه السلام. وقد انتهى هذا الدور بعد أن هاجرت أسرة يعقوب إلى مصر وانضمت إلى يوسف على قول التوراة، فاندمجت وذابت كليا في البيئة المصرية. إذ لا يمكن أن نتصور أسرة تهاجر إلى بلد غريب عن وطنها الأصلى وتمكث ستمائة عام في هذا البلد الجديد دون أن تنصهر في البيئة الجديدة وتذوب فيها كليا [1].

ثم جاء الدور الثانى بعد حوالى ستمائة عام وهو دور موسى وجماعته عندما نزحت هذه الجماعة إلى أرض كنعان، ولقد كانت أشبه ما تكون بحملة مصرية مؤلفة من جماعة من المصريين ومن بقايا الهكسوس. ويمكن أن نطلق على هذه الجماعة اسم " قوم موسى " كما ورد اسمهم في القرآن الكريم، وهؤلاء بطبيعة الحال كانوا يتكلمون اللغة المصرية وبها كلمهم موسى على وجه التأكيد، وقد نسبت التوراة هذه الحملة إلى بنى إسرائيل بغية ربط هذه الجماعة بيعقوب وإبراهيم الخليل كما نسبت موسى إلى كهنة بنى لاوى بن يعقوب (إسرائيل)

(1) انظر الشرح الذي يلى حول ذلك في الفصل الخامس، " عصر إبراهيم وإسحاق ويعقوب " إسرائيل ".

ورواية التوراة نفسها تشير إلى أن موسى تربى في البلاد الفرعونى إذ اتخذته ابنة فرعون ابنا لها [1]، ثم تزوج من امرأة كوشية (أثيوبية) [2]. فلو كان أبناء لاوى في الوجود في زمنه لتزوج من إحدى بنات عمومته، ومن الثابت لدى العلماء أن اسم موسى اسم مصرى صميم تسمى به أباطرة عصر الإمبراطورية: أحمس أو أخ موسى، تحوتمس أو تحوت موسى [3]. رعمسيس أو رع موسى [4]، كما كان اسم الكاهن الأعلى لمدينة ممفيس عاصمة مصر بتاح موسى وبتاح هو أهم آلهة ممفيس، وقد تسمى باسم موسى أبناء ذلك العصر الذي عاش في غضونه موسى عليه السلام.

وتقول التوراة: أن شريعة موسى نزلت عليه في جبل سيناء " وهى من صنع الله ومنقوشه على لوحى حجر مكتوب على جانبيهما بإصبع الله، وقد كتبها الله بيده مرة ثانية بعد أن ألقى موسى بهما على الأرض وكسرهما بسبب غضبه عندما شاهد قومه يعبدون العجل ويرقصون حوله [5]. ولكن أصل الشريعة التي كتبت على لوحى الحجر اختفت ولم يبق لها وجود. أما لغة هذه الشريعة فالأرجح عندنا أنها كانت اللغة المصرية، وهى لغة قوم موسى وقد كتبت بالهيروغليفية التي كان موسى قد أتقنها في البلاد الفرعونى.

وقد ورد ذكر لوحى التوراة الموسوية في أخبار المعركة التي دارت بين قوم موسى والفلسطينيين في منتصف القرن الحادى عشر قبل الميلاد والتى انتصر

(1) (خر، 2: 10).
(2) (عد، 12: 1).
(3) تحوت أو تحوط إله من آلهة المصريين (رب الحكمة) عبد في أول الأمر على شكل الطائر أيبس (أبى منجل) في الدلتا ثم بعد أن وجد لنفسه موطنا جديدا في مصر الوسطى واعتقد الناس فيه أنه إله القمر وهو أيضا الذي يدير الوقت (الزمن) ويشرف على نظام العالم لذلك ظهر اسمه مسطورا في كل من قصتى خلق العالم والإله (أوزوريس) (أرمان) " ديانة مصر القديمة "، ص 13 - 26، انظر صورة الإله تحوت على الصفحة 48 من الكتاب المشار إليه.
(4) " رع " إله من آلهة المصريين المشهورين عبد في الشمال وفى الجنوب على السواء وهو اسم من أسماء إله الشمس يشرق في الصباح، والإله " رع " يمزق الصواعق ويبعد الأمطار ويفتت البرد أقيم له معبد خاص ذو طابع خاص. (أرمان، المصدر السابق، ص 19 - 21، 31).
(5) (خر، 31: 18، 32: 15 - 16، 19، 34: 1).

فيها الفلسطينيون استولوا على تابوت العهد الذي كان يحتوى على اللوحين المذكورين ثم ردوه إلى الملك داود ووضعه سليمان في الهيكل ولم يعرف مصيره بعد ذلك [1].

وتابوت العهد هذا حسب المآثر الإسرائيلية خزانة من الخشب مكسوة بالذهب اعتبرها الموسويون رمزا لوجود الله وقد أودع فيها اللوحان الحجريان اللذان نقشت عليهما الشريعة وأشياء دينية أخرى وصارت هذه الخزانة تشغل أقدس جزء من طقوسهم الدينية ووجودها بين ظهرانيهم يكفل النصر له، لذلك كانوا يحملونها معهم في رحلاتهم وفى معاركهم على أعمدة طويلة [2].

وقد ورد في التوراة أيضا أن موسى تلقى الوصايا وأحكام الشريعة التي أوصى بها الرب في عربات موآب فكتبها وسلمها للكهنة [3]، ونستخلص من ذلك أن أحكام هذه الشريعة كتبت بيد النبى موسى نفسه، وهى غير الشريعة التي كتبت بيد الله على الحجر على قول التوراة، ولعلها كتبت على رق من رقوق البردى التي كان يستعملها المصريون في كتابتهم، أما اللغة التي كتبت بها فلابد من أنها نفس اللغة المصرية التي كتبت بها الشريعة على لوحى الحجر، إلا أنه لم يعثر على أى أثر لكلتا الكتابتين.

وقد أخذت جماعة موسى بعد أن استقرت في فلسطين بالحضارة الكنعانية وتقاليدها وعاداتها كما أخذت بلغتها الكنعانية، لذلك نجد التوراة عندما تتحدث عن لغة هذه الجماعة التي تسمى نفسها بنى إسرائيل في حين أنها أبعد ما تكون عن بنى إسرائيل الذين عاشوا قبل حوالى ستمائة عام، فإنها تسميها " بشفة كنعان " [4] أى لسان كنعان. وكان هؤلاء الموسويون يستعملون حروفا فينيقية قديمة في كتابتهم ثم أخذوا يكتبون بالخط السامرى، أما لغتهم التي صارت تسمى بالعبرية، في وقت لاحق فهى إحدى اللهجات التي اقتبسوها من الأرامية وقد تكونت بعد مرور أكثر من ستمائة عام على دخولهم أرض فلسطين وبها كتبت التوراة في بابل بعد عهد موسى بثمانمائة عام. وبعد مرور عدة قرون اقتبست هذه الجماعة

---

(1) انظر ما تقدم عن هجرة الفلسطينيين في الفصل الأول.

(2) (خر، 37: 1 - 9، 25: 10 - 21)؛ (عد، 10: 33 - 36)؛ (تث، 10: 1 - 15)؛ (يش 3: 6).

(3) (تث، 31: 9).

(4) G.Rabin, "He brew Language", Enc. Brit., Vol. 2, B. 279.

الكثير من أسس الديانة والعبادة الكنعانية وصارت جزءا من ديانتها، كما سنوضح ذلك فيما يلى[1].

أما الدور الثالث فهو الدور الذي يبدأ بسبى اليهود إلى بابل في القرن السادس قبل الميلاد (597 - 586 ق.م) وهؤلاء هم بقايا جماعة يهوذا وقد سموا باليهود نسبة إلى مملكة يهوذا المنقرضةوقد كان لهؤلاء في هذا الدور الأخير النصيب الأكبر في تكوين الديانة اليهودية، ففى بابل مارس اليهود شعائرهم الدينية وواصل كهنتهم أعمالهم الدينية بتحرير أهم فصول التوراة والتمهيد لتدوين التعاليم اليهودية باسم التلمود البابلى، حتى أن السبى البابلى كان عاملا قويا في تطوير الديانة اليهودية في القرون التي تلت.

وقد وردت كلمة يهود في الكتابات الشورية وفى القرآن الكريم مما يؤيد صحة وجود هذه الفئة باسم اليهود آنذاك، في هذا الدور بالذات دونت أهم فصول التوراة، دونها الكهنة اليهود باللغة العبرية المعروفة بأرامية التوراة، وهى لهجة مقتبسة من الأرامية، واستعملوا الخط المسمى بالخط المربع وهو مأخوذ من أقدم الأقلام الأرامية فحفظوه إلى يومنا هذا ويسمى الآن بالخط الأشورى المربع.

ومما يذكر في هذا الصدد أن هؤلاء الكتبة هم كبار الكهنة والحاخامين اليهود وقد عاصروا مملكة يهوذا في أواخر أيامها قبل السبى الأخير (586 ق.م) وكانوا بصفتهم علماء ذلك العصر يحسنون جميع اللغات القديمة ومن ضمنها السومرية، وكذلك الكتابة المسمارية التي نشأت في جنوب العراق بالإضافة إلى الكتابة الهيروغليفية، فجلس هؤلاء الكهنة وأمامهم الأكداس من الرقم الطينية في شتى المواضيع في مختلف اللغات والخطوط وفى مقدمتها المواضيع الدينية التي كانت تشغل حيزا كبيرا من تفكير أقوام تلك العصور.

ويبدو لأول وهلة عندما نستعرض مدونات التوراة أن الهدف الأول الذي كان يهدف إليه هؤلاء الحاخامون هو تمجيد تاريخ الزمرة اليهودية التي كانوا يعيشون وسطها وهم منها وجعلها صفوة الأقوام البشرية والجماعة المختارة التي اصطفاها الرب من دون بقية الشعوب. ولتحقيق هذا الهدف كان لابد لهم من إرجاع أصل هذه الجماعة اليهودية (الإسرائيلية) إلى أقدس شخصية في التاريخ القديم، أى إبراهيم الخليل الذي كان صيته قد عم جميع أرجاء عالم تلك الأزمان.

(1) انظر ما يلى في الفصل الرابع، " التوراة في ضوء المكتشفات الأثارية "..

أما الهدف الثانى فهو تثبيت عقيدة الأرض الموعودة على لسان إبراهيم ويعقوب وموسى وهم بريئون منها. وقد حالفهم النجاح في سرد هذا التاريخ حسب أهوائهم ونزعاتهم بلباقة ومهارة لم يسبق لهما نظير في الأدب القديم وإن أصح ما جاء في الحوادث المدونة هى الوقائع التي تعود إلى العهد الأشورى الأخير والعهد الكلدانى، لأنها كانت وقائع قريبة جدا من عصرهم وقد عاشوا فعلا في وسط الوقائع الأخيرة في السبى الأخير.

ثم جاء عهد اليونان فأضاف أخلاقهم في فلسطين إصحاحى المكابيين إلى التوراة، وهذان الإصحاحان كتبا في الأصل باليونانية ثم ترجما إلى العبرية، ويبحثان في تاريخ فترة المكابيين (167 - 37 ق.م)، وكتابات التوراة عن هذه الأدوار المتأخرة تعتبر تاريخا للوقائع السياسية والحروب التي وقعت في الشرق الأدنى في العهود الأشورية والبابلية والإغريقية، أما ما ورد في التوراة من مزامير وأمثال وأشعار وشرائع وما إلى ذلك من أساطير وقصص فهو مستقى من المصادر الأدبية القديمة لمختلف الثقافات التي اطلع عليها كتبة التوراة ومن المعتقدات والتقاليد الاجتماعية التي عاشوها ومارسوها فعلا في فلسطين وبابل وهى كنعانية بابلية مصرية الأصل.

ويتضح مما تقدم أن التوراة قد كتبت بعد إبراهيم الخليل بألف وثلاثمائة عام وبعد عهد موسى بأكثر من سبعة قرون، وهى بالطبع غير التوراة التي نزلت على النبى موسى.

ويؤكد لودز ذلك بقوله: " إننا لا نستطيع أن نؤيد صحة رجوع تاريخ أى قسم من الأسفار الخمسة وحتى الوصايا العشر إلى عصر موسى، لأن ما ورد من روايات في هذه الأسفار قد تعرض أكثر من بقية أسفار التوراة إلى تكرار وإعادة تصنيف وإلى تغيير وتوسيع مستمرين على مر العصور " (1).

ثم يضيف إلى ذلك قوله: " إذا أمعنا النظر إمعانا دقيقا في العهد القديم نجد أن الوصايا العشر أدخلت في سفر الخروج وسفر التثنية في وقت متأخر حيث ظهرت في الكتابات اليهودية في القرن السابع قبل الميلاد " (2).

ويعترف العالم اليهودى سيلفر بأن التوراة الحالية لا تمثل توراة موسى الأصلية في أية ناحية وحتى الوصايا العشر التي يكاد يجمع العلماء أنها الشئ الوحيد المتبقى

(1) لودز، " إسرائيل "، ص 359.
(2) لودز، المصدر السابق، ص 315.

من التوراة الأصلية لم تكن في شكلها ومضمونها الحاليين كتلك التي أتى بها موسى [1].

ويقول العالم الألماني الدكتور مورتكات: " لا يمكن الاعتماد من الناحية العلمية على أساطير التوراة، لذا برهنت الأبحاث الأثرية على عدم صحة أكثر تلك الأساطير التي وردت فيها كما وتوجد أبحاث تبرهن عكس هذه الأساطير " [2].

ويقول الأستاذ شبل أيضا: " وانفرد اليهود في هذا الميدان بإقدامهم على رفع سجل تاريخهم إلى منزلة التقديس ونجاحهم نجاحا لا يبارى في إيهام مئات الملايين من البشر على مدى الأحقاب والعصور بأن تاريخهم كتاب مقدس، مصير من لا يصدقه أو يناقشه مناقشة علمية عقاب الله في الدنيا والآخرة " [3].

وفى نفس المعنى يقول المرحوم العقاد: " ومن أعجب العجب أن تنسب هذه الأسفار (الخمسة) إلى موسى وفيها وصف موته ودفنه، ومقارنة بينه وبين التابعين له من الأنبياء، ومعنى ذلك أن الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية كتب بعد قيام أنبياء كثيرين تنعقد المقارنة بينهم وبين موسى عليه السلام، فمن الثابت قطعا أن هذه الأسفار العبرية كتبت بعد عصر موسى عليه السلام بعدة قرون " [4].

وكان اليهود في بابل يتكلمون اللغة الأرامية بعد أن انتشرت هذه اللغة في جميع البلاد الشرقية واستمروا يتكلمونها فيما بينهم بعد عودة بعضهم إلى فلسطين وقد اقتصرت اللهجة العبرية على الكتب الدينية [5].

ويحسن بالقارئ أن يلاحظ تسلسل هذه الأدوار بالقياس إلى اللغة والديانة حسب أزمانها عند متابعة هذا البحث ليكون على بينة من الزمن الذي ينتمى إليه كل حادث من الأحداث التاريخية، لأن كتبة التوراة تعمدوا الخلط بين الأدوار التاريخية وإهمال التسلسل الزمنى فربطوا العصور بعضها ببعض، وذلك لكى يرجعوا إلى

(1) الدكتور سامى سعيد الأحمد: " الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية " نقلا عن:
A. H. Silver, "Moses and the Original Tocah", P. 76.
(2) الدكتور مورتكات، " تاريخ الشرق الأدنى القديم "، ص 272.
(3) الأستاذ شبل، " مشكلة اليهودية العالمية "، ص 9.
(4) العقاد، " الصهيونية العالمية وقضية فلسطين "، ص 150.
(5) Hitti, "History of Syria", P. 223.

عصور لم يكن لهم أى وجود فيها فيلتبس الأمر على القارئ، وهذه الأدوار هى كما تقدم:

أولا: الدور الأول:

دور إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وترجع حوادثه إلى القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد، وهو دور مستقل بذاته ليس له أية صلة بدور النبى موسى أو اليهود أو التوراة، ولغة هذا الدور اللغة السامية العربية الأم والديانة وحدانية إبراهيم الخليل الخالصة.

ثانيا: الدور الثانى:

دور حملة النبى موسى المصرية على فلسطين، وتقع حوادثها في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، أى بعد حوالى سبعة قرون من الدور الأول، ولا صلة لهذا الدور بعصر إبراهيم الخليل ويعقوب (إسرائيل). لذلك فإننا سوق نستخدم تسمية قوم موسى " أو " موسويين " عند الكلام عن أتباع موسى الذين دعتهم التوراة " بنى إسرائيل " بقصد ربط صلتهم بإبراهيم ويعقوب، ولغة هذا الدور هى اللغة المصرية في البدء ثم تلتها الكنعانية التي اقتبسها الموسويون في كنعان.

ثالثا: الدور الثالث:

دور اليهود، وهم كتبة التوراة الحالية، وتقع حوادثه في القرن السادس قبل الميلاد، أى بعد عهد النبى موسى بثمانية قرون وبعد عصر إبراهيم الخليل بثلثمائة وألف عام. وقد ميز القرآن الكريم بين الإسرائيليين واليهود. فعندما نزلت الآية الشريفة:{ مَاكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا } [آل عمران: ٦٧]، لم يرد هنا اسم إسرائيل المرتبط بعصر إبراهيم الخليل، ولغة هذا الدور الأرامية في التخاطب واللهجة المسماة " بأرامية التوراة " التي كتبت بها التوراة، وأما الديانة فهى وحدانية " يهوه " الخاصة باليهود فقط.

ويتضح مما تقدم أن أحبار اليهود عندما دونوا التوراة في الأسر حاولوا تجاهل الثغرة بين عهد إبراهيم وإسحاق ويعقوب من جهة ودور حملة النبى موسى المصرية على فلسطين من الجهة الأخرى (بين الدور الأول والثانى). وكذلك تجاهلوا الثغرة بين دور النبى موسى من جهة ودور اليهود من الجهة الأخرى (بين الدور الثانى والثالث)، ثم تداركوا الأمر بإظهار عبادة الإله يهوه على المسرح وربطها بدورى إبراهيم الخليل وموسى لتثبيت الاستمرار بينها وبينهما، تقول لبنى إسرائيل: يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحاق ويعقوب

أرسلني إليكم [1].

ولقد خيل إليهم أنهم سدوا الثغرتين ولم يدركوا أن الفتق أصبح أوسع مما يستطيعون سده في إيجادهم " يهوه " وأن الترقيع ظاهر جلى معما حاولوا إخفاءه. وفي هذا الموضوع يقول فرويد: " لقد تحرى الكهنة في سردهم أن يوجدوا استمرارا بين عصرهم وعصر موسى، وأرادوا أن ينفوا ما يمثل في نظرنا أبرز واقعة في تاريخ الدين اليهودى وأعنى به وجود ثغرة بين شرائع موسى والديانة اليهودية المتأخرة عنها في الزمن، ثغرة سدت في البداية بعبادة يهوه ثم تم التخلص منها فيما بعد رويدا رويدا وعلى مهل. ولقد كانت رواية الكهنة تخضع لنفس الميل المحرف والمشوه، الذي كان جعل من الإله الجديد " يهوه " إله الآباء الأوائل ".

6 ـ أقدم الآثار الخطية للتوراة:

إن أقدم نصوص التوراة التي عثر عليها حتى الآن هى بعض أسفار العهد القديم التي تعود إلى القرنين الأخيرين قبل الميلاد [2]، فقد عثر أحد الرعاة العرب من عشيرة التعامرة في كهف يقع عند مصب وادى قمران في الساحل الغربى الشمالى من بحر الميت على بعد اثنى عشر كيلو مترا جنوب أريحا على لفائف اسطوانية من الرقوق مغلفة بقماش قديم من الكتاب داخل جرار من الخزف، وهذه تحتوى على بعض أسفار العهد القديم منها درج كامل لنبوة إشعيا. كما عثر في كهوف أخرى في نفس المنطقة على بقايا من هذه الرقوق كان من بينها درج يحتوى على جزء من كتاب اللاويين ومقطوعات كبيرة من رؤيا أورشليم الجديدة ودرج من المزامير ونص لسفر أيوب بالأرامية، وقد عثر المنقبون في زاوية من زوايا هذه الكهوف أيضا على مقاطع من أسفار التكوين والخروج والتثنية ونبوءة إشعيا. ويعتقد أن فرقة من اليهود كانت تقيم في هذه المنطقة وكان لهذه الفرقة طقوس دينية خاصة تميزها عن باقى الفرق اليهودية [3].

---

(1) (خر، 3: 15).

(2) فرويد، " موسى والتوحيد "، الطبعة العربية، ص 108 - 109.

(3) كان أتباع هذه الفرقة يسمون بـ " الأسينيين " أو " المغتسلين " وقد اعتزلوا المدن وأقاموا رجالا لا نساء بينهم، في الكهوف والمغاور حول البحر الميت في منطقة قمران، واتخذوا لهم نظاما= =سكنيا خاصا بهم أشبه بنظم الرهبان في العصور المسيحية على

وكان قد عثر على مقدار من هذه الطوامير المشتملة على بعض أسفار العهد القديم في زمن العهد القديم في زمن هارون الرشيد في منطقة الغور قرب أريحا وقد أسهمت هذه الطوامير المشتملة على بعض أسفار العهد القديم إلى أيدى علماء اليهود (1).

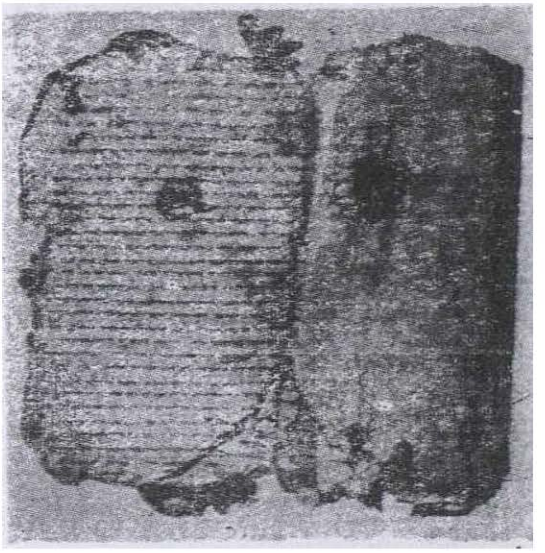

التصوير رقم (59)

مبادئ اشتراكية جماعية، وقد انقرضوا في القرن الأول المسيحى عند تدمير الرومان مدينة القدس.

(1) انظر المراجع العربية الآتية:

الأستاذ عجاج نويهض، " بروتوكولات حكاء صهيون "، م2، ص 45 - 46 و 136؛ الدكتور أسد رستم، " مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران "، هدية المسرة سنة 1959؛ القس جيمس ولبي وإبراهيم مطر، " مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران "، 1957؛ ميللر بروز، " مخطوطات البحر الميت "، ترجمة محمود العابدي، عمان، 1976.

انظر أيضًا المراجع الأجنبية التالية:

M. Burrows, "The Dead Sea Scrolls", 1956; "More Light on the Dead Sea Scrolls" 1958; S.Fritsch, "Qumran Community". 1956; T.Gaster, "Scriptures of the Dead Sea Sect", 1957; J.Allegro, "The Dead Sea Srolls", 1958; "The people of the Dead Sea Scrolls", 1959: J.A. Sanders, "The Dead Sead Sea Psalms Scroll", 1967.

نموذج من رقوق وادى قمران التي تعود إلى القرنين الثانى والأول قبل الميلاد
(عن موسكاتى " الحضارات السامية القديمة " ، ص 129)

7 ـ ترجمة التوراة إلى اللغات الأوربية واللغة العربية:

إن أقدم ترجمة للتوراة هى الترجمة المعروفة اليوم بالترجمة السبعينية، وهى المنقولة من العبرية إلى اليونانية، وقد تمت هذه الترجمة في الإسكندرية بمصر - حوالى سنة 250 قبل الميلاد تلبية لرغبة بطليموس فلادلفوس (280 - 247 ق.م)، والمعروف عن بطليموس المذكور أنه كان قد أوفد وفدا إلى الكاهن الأعلى في أورشليم يطلب إليه تزويده بنسخة من التوراة، كما أنه طلب إرسال من يقوم بترجمتها إلى اليونانية من العلماء اللغويين لهذا العمل، وقد استجاب الكاهن الأعلى إلى طلب ملك مصر فأرسل نسخة من الكتاب مع اثنين وسبعين عالما لإنجاز هذه المهمة فسميت هذه الترجمة بالترجمة السبعينية. ثم ترجمت إلى اللغة الحبشية عام 320 للميلاد، ويرى المؤرخون المحققون أن المقصود هنا بالتوراة هو الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس المنسوبة لموسى. وفيما يلى الترجمة السبعينية كما أوردها العلامة سارتون: " ديمتروس الفاليرونى " شرح للملك بطليموس الثانى ضرورة نقل التوراة إلى الإغريقية فبعث برسولين إلى رئيس الكهنة لكل سبط. وقد حظى المطلب الملكى بالقبول وسرعان ما استقر في جزيرة فاروس " 72 حبرا يهوديا عكفوا على ترجمة الكتاب المقدس، وقد أنجزت هذه الترجمة إلى الإغريقية بالفعل خلال القرن الثالث قبل الميلاد. وترجم غيرها من كتب العهد القديم فيما بعد، ترجم أكثر هذه الكتاب في القرن الثانى قبل الميلاد ولم يترجم آخرها الذي هو (سفر الجامعة) إلا حوالى سنة 100 بعد الميلاد. ولهذه الترجمة الإغريقية للعهد القديم أهمية كبيرة لأنها أخذت عن نص عبرى أقدم من النص العبرى الذي وصل إلينا فيما بعد " [1].

أما أقدم ترجمة للتوراة إلى اللغة العربية فإنها ترجع إلى عهد هارون الرشيد فقد ذكر ابن النديم أن أحمد بن عبد الله بن سلام الإنجيلى هو الذي ترجم التوراة من اللغة العبرانية إلى اللغة العربية، ويؤكد أنه التزم بالنص حرفيا ولم يزد عليه ولم ينقص منه مخافة التحريف [2].

وقد ذكر المسعودى ثلاثة نقول أخرى: " الأول لحنين بن إسحاق

(1) سارتون، " العلم القديم والمدنية الحديثة "، ص 48 - 49.
(2) " الفهرست "، ص 22.

النسطورى المتوفى عام 260 هـ (873 - 874 م) وقد اعتمد فيه على الترجمة اليونانية، والاثنان الآخران لحبرين من أحبار اليهود هما أبو كثير المتوفى عام 320 هـ (932 م) وسعيد بن يوسف الفيومى المشهور بسعد بن جاءون المتوفى عام 331 هـ (943م) [1].

وقد نقل الاثنان من النص العبرى الأصلى [2]، ولم يبق من كل هذه النقول إلا نقل سعديا (طبعة درنبوج، باريس 1893م) والنقل الوحيد الآخر الذي بقى من هذا العهد هو الذي أنجز عمله في الأندلس عام 345 هـ (956 م) وقد نقل عن اللاتينية، وهناك عدة نقول أخرى متأخرة عن القبطية والسريانية والعبرانية قام بها النصارى والسامريون، فصلها هزرج في مقاله الموسوم بـ [3]:

Bibeobersetzun - Relenzykudie Gen. Arabiche

إن أقدم ترجمة عربية كاملة لكل الكتاب المقدس هى ترجمة يوحنا نقل عن اللاتينية، وهناك عدة نقول أخرى متأخرة عن القبطية والسريانية والعبرانية التي شاعت في أسبانيا في القرن السابع الميلادى وما بعد، والظاهر أن هذه الترجمة لم تطبع.

ويقول الإخباريون أن الحاخام سعديا المعلم المشهور في مدرسة بابل ترجم في القرن التاسع الميلادى كل العهد القديم أو أكثره إلى العربية لمنفعة اليهود الذين كانوا يتكلمون العربية. وقد ترجم بعض أسفار التوراة إلى العربية عدة مرات بين سنة 1516 و 1725م، وطبعت هذه الترجمات في حلب وفى لندن وفى جنوى وفى رومية وفى لبنان. وفى القرن التاسع عشر للميلاد قام المستشرقان الفرنسيان البارون دى ساسى (S. de Sacy) (1758 - 1838 م)، وكاترمير (E.M. Quatremere) (1782 - 1852 م) بالإشراف على طبع التوراة بالعربية [4].

(1) " الشبيه والإشراف "، ص 112 - 113.

(2) الظاهر أن هذه النقول قد اشتملت على ما رواه المسعودى على التوراة والأنبياء والزبور (مزامير داود) وهى أربعة وعشرون كتابا.

(3) انظر: (مادة التوراة) في دائرة المعارف الإسلامية - الترجمة العربية، ج6، ص 1 - 7.

(4) العقيقى، " المستشرقون "، ص 179 - 185.

أما ترجمات " الكتاب المقدس " العربية الكاملة، بشقيه العهد القديم والعهد الجديد، فهناك ثلاث ترجمات أنجزت جميعها خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر، وهذه الترجمات هى التالية:

أولا: الترجمة البروتستانتية الأمريكية التي قام بها الإرساليون الأمريكان في بيروت بواسطة لجنة مؤلفة من خمسة أعضاء أضيف إليها سادس فيما بعد برئاسة العلامة جورج بوست.

وقد فرغت هذه اللجنة من تحقيقاتها بإصدار العهد الجديد عام 1860 والعهد القديم عام 1865 ومن ثم عمدت إلى ضم العهدين معا في مجلد واحد ضخم، وقد تمت طباعة هذه الترجمة على مطابع الجامعة الأمريكية وعلى نفقة اللجنة التوراتية الأمريكانية.

ثانيا: الترجمة الكاثوليكية التي قام بها الآباء اليسوعيون في بيروت أيضا. وقد استغرقت هذه الترجمة تسع سنوات 1872 - 1880 وانتهت بإصدار العهد الجديد عام 1878 والعهد القديم 1880 وقد جرت طباعتها على مطابع ونفقة المطبعة الكاثوليكية في بيروت، وفى عام 1960 عاودت المطبعة الكاثوليكية طباعة هذه الترجمة في مجلد واحد يضم العهدين معا.

تعتبر هاتان الترجمتان الأكثر تداولا بين المسيحيين العرب ويقول كل من القائمين بهما أنهم استندوا في ترجمتهم على الكتب الأصلية في اللغات اليونانية والكلدانية والعبرية، ويضم العهد القديم في الترجمة الأولى 39 سفرا بينما تضم الثانية 46 سفرا أى بزيادة سبعة أسفار هى أسفار يهوديت، طوبيا، الحكمة، يشوع بن سيراخ، باروك والمكابين (سفران). ورأى الكنيسة البروتستانتية أن هذه الأسفار مدسوسة على التوراة بينما أقرتها الكنيسة الكاثوليكية.

ثالثا: أما الترجمة الثالثة فهى الترجمة التي كانت قد عهدت بها إحدى اللجان الإنجليزية إلى الأستاذ فارس الشدياق وقام بترجمتها سنة (1851م) وقد صدرت هذه الترجمة إلا أنها منعت من التداول لكون صاحبها أعلن بعد الفراغ منها إسلامه واتخذ له اسم أحمد وتكنى بأبى العباس كرد على ما وجده من المغالطات والتناقضات التي يندى لها جبين المؤمن، والشدياق هو من أصل لبنانى ومن

عائلة الشدياق إحدى العائلات المسيحية اللبنانية المشهورة [1].

8 ـ قوانين الحرب في التوراة:

إن أغرب ما يلاحظه المتتبع لمدونات التوراة الأمر بقتل الأطفال والنساء والشيوخ وحتى البهائم، ففى التعاليم الخاصة بحرب الموسويين مع أهل فلسطين وردت الوصايا التالية:

1- " احترز من أن تقطع عهدا مع سكان الأرض التي أنت آت إليها لئلا يصير فخا في وسطك " [2].

2- " وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما، بل تحرمها تحريما الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحوريين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك " [3].

3- " اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر اقتلوها لكن جميع الأطفال من النساء اللواتى لم يعرفن مضاجعة ذكر ابقوهن لكم حيات " [4].

وفى غزو إسرائيل لمدينة أريحا دمر الموسويون المدينة وأحرقوها بالنار وقتلوا كل من فيها من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بأمر إلههم " يهوه " كما جاء في التوراة [5]. وبأمر إلههم " يهوه " أيضا ضرب الملك شاؤول العمالقة العرب وهذا نص الأمر كما ورد في سفر صموئيل الأول: " فالآن اذهب واضرب عماليق وحرموا كل ما له ولا تعف عنهم بل اقتل رجلا وامرأة، طفلا ورضيعا، بقرا وغنما، جملا وحمارا [6] " ولما أبقى شاؤول على خيار البقر والغنم أحياء لم يغفر له الرب ذلك فقيل له " إنك رفضت كلام الرب فرفضك الرب من أن تكون ملكا على إسرائيل " [7].

---

(1) انظر: " بروتوكولات حكماء صهيون "، للأستاذ عجاج نويهض، م2، ص 24 - 25، ص 271 - 303.
(2) (خر، 34: 12).
(3) (تث، 20: 10 - 17).
(4) (عد، 31: 17 - 18).
(5) (يش، 6: 21).
(6) (صم، 15: 23).
(7) (صم 15: 23).

وقد جاء في القرآن الكريم تحذير لبنى إسرائيل من مغبة هذه الأعمال المنكرة التي أدخلوها في كتبهم وقالوا هذا من عند الله [1]. فنزلت الآية الشريفة:{مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا} [المائدة: ٣٢].

وفى القرآن الكريم آيات أخرى تأمر بالمودة وتجنب المعاداة، والبر بمن لا يقاتل تقييما للنفس حتى بالنسبة للأعداء، ففى سورة الممتحنة قال تعالى:{عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾} [الممتحنة: ٧ - ٨]، وبمثل ذلك يأمر الإنجيل المسيحيين فيقول: " زيدوا على إيمانكم الفضيلة، وعلى الفضيلة، التعقل، وعلى التعقل التقوى وعلى التقوى المودة الأخوية، وعلى المودة الأخوية المحبة " [2].

ولنا أن نعتبر بالتعاليم الإسلامية التي تأمر بعدم الاعتداء:{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾} [البقرة: ١٩٠ - ١٩٣]، وهذه التعاليم كانت ومازالت النبراس الذي اهتدى به المسلمون في حروبهم مع جميع الشعوب، وما أكثر الدلائل والأمثلة على تسامح المسلمين ورأفتهم بالمغلوبين!. وأبرز ما جاء في تطبيق التعاليم الإسلامية في هذا الصدد وصية أبى بكر الصديق إلى قواده: " لا تخونوا ولا تغلوا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تقصوا نخلا ولا تحرقوه، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ".

وقد جاء في التوراة أيضا: أن نساء بنى إسرائيل (أتباع موسى) حينما عزمن على الخروج من مصر استعرن حلى جاراتهن المصريات ليتجملن بها وقد زعمن أنهن ورجالهن سيحتفلون بالعيد في الصحراء فهربن بالحلى إلى سيناء، وكان هذا

(1) انظر ما يلى عن تحريف التوراة.
(2) رسالة القديس بطرس الثانية 1: 5 - 7.

السلب بأمر إلههم (يهوه) أيضا، وهذا نص الوصية: فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين، بل تطلب كل امرأة من جارتها، ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة، وأمتعة ذهب، وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين. وفعل بنو إسرائيل (أتباع موسى)[1] بحسب قول موسى، وطلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهبا وثيابا وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين " [2].

9 ـ تحريف التوراة الأصلية:

والآن وبعد أن شرحنا كيفية تدوين أحكام الديانة اليهودية فلابد من أن يرد على ذهن السؤال التالي: هل التوراة التي تحدث القرآن الكريم عنها وعن نزولها على النبي موسى هي نفس التوراة التي بين أيدينا وقد حافظت على أصلها؟ إن فيما مر " دليل قاطع على أن التوراة المتداولة في الوقت الحاضر قد دونت بعد النبي موسى بمدة طويلة فحرفت وأضيف إليها ما اتفق مع رغبات ونزعات وميول الكتبة مارة بعدة أدوار من الرواية الشفوية والانتخاب والحذف والإضافة إلى دور التدوين وإلا كيف يمكن أن يكون قد نزل أمر بقتل الأطفال والنساء والشيوخ لاسيما وأن إحدى الوصايا العشر تأمر بعكس ذلك؟

ويعترف رجال الدين المسيحيين بذلك إذ جاء في مقدمة الكتاب المقدس من الطبعة الكاثوليكية لسنة 1960 بهذا المعنى ما نصه: " فما من عالم كاثوليكي في عصرنا يعتقد أن موسى ذاته كتب كل الباتتاتيك منذ قصة الخلق إلى قصة موته كما أنه لا يكفي أن يقال أن موسى أشرف على وضع النص الذي دونه في الشرائع الموسوية سببته مناسبات العصور التالية الاجتماعية والدينية ".

وقد ندد المسيح عليه السلام بأعمال من سماهم بالكتبة الفريسيين والناموسيين (رجال الشريعة وأنذرهم بالويلات لانحرافهم عن الفضيلة وتكالبهم على الدنيا [3].

كما ورد في القرآن الكريم ما يشير إلى ان اليهود حرفوا التوراة:{فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا

(1) لم يكن بد من استعمال مصطلح بنو إسرائيل مجاراة لشرح التوراة التي سمت أتباع موسى ببني إسرائيل على الرغم من انقطاع صلتهم بإسرائيل.
(2) (خر، 3: 22، 12: 35 - 36).
(3) (مت، ص: 23)؛ (لو، 11: 52).

كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾} [البقـــــرة: ٧٩].{أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾} [البقرة: ٧٥]. وفى آيات أخرى تأكيد لتحريف اليهود للتوراة:{مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ} [النساء: ٤٦].

ويقول الدكتور سامى سعيد الأحمد في ذلك: " وعندما ذكر القرآن الكريم قبل زهاء أربعة عشر قرنا أن اليهود قد حرفوا التوراة الأولى نجد الآن وبعد كل ما سمعنا به ونلمسه من البحث الدقيق والتقدم العلمى الكبير الذي سهل على علماء الآثار المؤرخين عملهم أن هذا الكلام هو عين الحقيقة " (1).

وهكذا فقد أصبح من المتعذر تحديد القسم الذي يرجع إلى زمن النبى موسى ثم تمييز القسم الذي أضيف فيما بعد ذلك أو القسم المحرف من الأسفار الواردة في التوراة إلا أنه من المرجح أن الوصايا العشر كانت هى أصل الشريعة التي كتبت على " لوحى الشهادة " التي جاء ذكرها في التوراة.

وفى الوقت الذي تؤمن التعاليم الإسلامية بعصمة الأنبياء والرسل باعتدادهم صفوة البشرية الذين يجب أن يتخذ الناس من سلوكهم قدوة يقتدون بها نرى التوراة تفترى عليهم بأعمال قبيحة تتنافى ومكانتهم الدينية والاجتماعية: " فقد نسبت إلى الملك داود أنه زنا بزوجة أحد قواده " (2). وإلى لوط إثما مع ابنتيه (3)، وإلى أمنون بن داود اغتصاب أخته تامار (4)... إلخ.

ومن أهم مظاهر الانحراف عن توراة موسى الأصلية: أن التوراة التي كتبها الكهنة بعد عصر موسى بعدة قرون تقوم على التفرقة العنصرية وذلك أن تجعل اليهود شعب الله المختار وتنظر إلى ما عداه نظرتها إلى شعوب دونهم منزلة في المجتمع الإنسانى، وتضع شريعتها على هذا الأساس فتبيح لليهودى امتيازات خاصة دون سواه من غير اليهود، في حين أن ديانة موسى الأصلية كانت تقوم على أساس التوحيد العالمى المطلق من غير أن تفرق بين الأقوام. وفضلا عن ذلك أن التوراة الأصلية التي أنزلها الله على موسى كانت تقر البعث والنشور واليوم الآخر في حين أن التوراة التي كتبها أحبار اليهود فيما بعد عهد النبى

(1) " الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية "، ص 8.
(2) (2 صم، 11: 2 - 26).
(3) (أمل، 11:1 - 9).
(4) (تك، 19: 30 - 37).

موسى بعدة قرون قد خلت من ذكر اليوم الآخر والجنة والنار.

ومن الفلاسفة المسلمين الذين كتبوا في موضوع تحريف التوراة الأصلية التي أنزلت على النبى موسى ابن حزم، الفيلسوف الأندلسى الشهير [1]، ففى كتابه " الفصل في الملل والأهواء والنحل " (الفصل في مناقضات ظاهرة وتكاذيب واضحة في الكتاب الذي تسميه اليهود التوراة وفى سائر كتبهم ومن الأناجيل الأربعة يتيقن تحريفها وتبديلها وأنها غير الذي أنزل الله عز وجل) [2] يبين ما في نصوص التوراة الحالية التي كتبها أحبار اليهود بعد عصر موسى بوقت طويل من أكاذيب وخرافات ومتناقضات وذلك بعد عرض تلك النصوص وتعليقه على كل منها. فيذكر ابن حزم أن السامريين يزعمون بأنهم يحتفظون بالتوراة الأصلية المنزلة ويقطعون أن التي بين أيدى اليهود محرفة مبدلة، أما هو، أى ابن حزم، فيبرهن بما قدمه من أدلة على أن كلتا التوراتين محرفتان مبدلتان وهما غير الذي أنزله الله على موسى.

وقد أكد في ملاحظاته على بعض النصوص التوراتية أنها تنقل " فضائح وأكذوبات وأشياء تشبه الخرافات ".

ويشير ابن حزم إلى عدد الكذبات والمناقضات في التوراة فيقول: " إن الفصل الواحد منها يجمع سبع كذبات أو مناقضات أو تحريفات فكيف وهى سبعة وخمسون فصلا ثم ينتهى إلى القول " إن التوراة عند بنى إسرائيل من أول دولتهم أثر موت موسى عليه السلام إلى انقراض دولتهم إلى رجوعهم إلى بيت المقدس إلى أن كتبها لهم عزرا الوراق بإجماع من كتبتهم واتفاق من علمائهم دون خلاف يوجد من أحد منهم في ذلك وما اختلفوا فيه من ذلك نبهنا عليه ليتيقن كل ذى فهم أنها محرفة مبدلة وبالله تعالى نستعين...

---

(1) هو على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى: عالم عربى أندلسى، فقيه ومؤرخ وشاعر مشهور، ولد سنة 384 هـ (994م) في قرطبة ونشأ فيها كانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، وقد عرض نفسه إلى تهجم بعض العلماء والفقهاء لانتقاده إياهم، فأجمعوا على تضليله حتى أقصى وطورد فرحل إلى بادية ليلة (من بادية الأندلس)، وتوفى فيها سنة 456 هـ (1064م).
انظر الأعلام 55 ن ص 59، جرجى زيدان، " آداب اللغة العربية "، ج 3، ص 104 - 105؛ ابن القفطى، ص 232 - 233، دائرة المعارف الإسلامية، م1، ص 136 - 144.

(2) انظر الجزء الأول من كتابه، طبعة القاهرة 1317 - 1321 هـ، ص 116 - 224.

هنا انتهى ما أخرجناه من توراة اليهود وكتبهم من الكذب الظاهر والمناقضات اللائحة التي لا شك معه في أنها كتب مبدلة محرفة مكذوبة وشريعة موضوعة مستعملة من أكابرهم ولم يبق بأيديهم بعد هذا الشئ أصلا ولا بقى من فساد دينهم شبهة بوجه من الوجوه والحمد لله رب العالمين ".

10 ـ ازدواجية التوراة:

إن العديد من التناقضات التي تسود التوراة والغموض العالق بالفترة الزمنية ما بين عصر يعقوب ويوسف من جهة وبين عصر موسى واليهود من الجهة الأخرى، ثم الفترة الزمنية ما بين عصر النبى موسى وبين عصر اليهود (كتبة التوراة) من الجهة الأخرى وسكوت التوراة سكوتا يكاد يكون مطبقا عن هاتين الفترتين، كل ذلك حمل الباحثين على مواجهة التساؤلات محاولين إيجاد الحلول لهذه العقدة في التوراة فكان أن نشأ بينهم شبه اتفاق على ازدواجية التوراة، أى أن التوراة تخلط بين العصور والأدوار وبين الأقوام والديانات دون أن تتقيد بالتسلسل الزمنى لتجنب الدخول في التفاصيل، إلا أن الباحثين اختلفوا في تعيين نوعية الازدواج، فبعضهم يعترف بالأصل الكنعانى العربى لإبراهيم وعدم ارتباطه بعصر موسى واليهود، مخالفا في ذلك ادعاء كتبة التوراة بأن إبراهيم (إبرام) شخصية يهودية باعتباره (أول آباء اليهود).

فيرى الأستاذ الفرد المر مثلا أن التوراة تضمنت بصورة رئيسية، تيارى التسجيل اليهيوى [1] والإيلوهيمى [2]، وأن التيار الإيلوهيمى هو تيار كنعانى الأصل، وقد اصطدم بالتيار اليهيوى منذ موسى ولم يتمكن التيار اليهيوى من اقتلاعه بدلالة بقاء آثاره في التوراة حتى زمن متأخر، أى إلى زمن كتابة التوراة ذاتها. أما التيار الإيلوهيمى فقد كان تيارا دينيا صرفا على الأرجح بينما التيار اليهيوى تيار عنصرى سياسى استيلائى [3].

ويرى البعض الآخر أن التوراة توحى بين سطورها دلائل على وجود إبراهيمين لا إبراهيم واحد، فيقول الدكتور كامبيل: " لابد هنا من وجود إبراهيمين جاء أحدهما بعد الآخر بزمن طويل ". ثم يضيف إلى ذلك قوله: " ولما امتزج العموريون والعبريون واشتركوا في العبادة وفى السيادة صعد العبريون

(1) نسبة إلى " يهوه "..
(2) نسبة إلى " إيل "..
(3) قاسم الشواف، " مع الكلمة الصافية "، ص 328.

نسبهم إلى جد مدنون في حبرون يسمى إبرام، وذكروا أن قبره مشترى بالمال من ملوك الأرض الأصلاء، وأن ليس في دفنه ثمة عدوان ولا ادعاء "، وقد تبنى هذه النظرية ذاتها السير ليونارد وولى مؤلف كتاب " إبرام والكشوف الأخيرة " وهو يرجح بأن إبراهيم هو غير إبرام لأن تسمية الحفيد باسم الجد مألوفة جدا في البلاد البابلية، " فإذا كان لإبراهيم جد باسم إبرام جاء في كثير من الروايات، فالأقرب إلى المألوف أن المتأخرين بعد عصره جمعوا بين أخبار الاثنين ووصلوا عمر أحدهما بعمر الآخر فبلغوا بهما مائة وخمسا وسبعين سنة، وغير بعيد أن يكون العبريون المتأخرون قد تكلموا عن إبراهيمين لا عن إبراهيم واحد. وهذا التاريخ الغامض قد زاده اختلاطا على اختلاط دعوى الطائفة العبرية التي تنتسب إلى إبراهيم، أنها ذريته التي ترثه في الأرض والسماء وأنها ورثت أرض فلسطين من أيام إبراهيم، مع أنهم كانوا إلى أيام موسى يشترون المرعى والمورد فيها بالفضة، ولم يستطيعوا أن يدخلوا فلسطين إلا بعد أن ضعف العموريون والحيثيون والهكسوس " [1].

ثم جاء العالم النفساني الشهير فرويد فتبنى نظرية أخرى عن ازدواجية التوراة وهي أن هناك شخصين يحملان اسم موسى، ويرى أن هناك عددا من الثنائيات التي تحكم اليهود فتجعل تفكيرهم نابعا من ازدواجية قديمة فهم ليسوا شعبا واحدا بل شعبين ولهم إلهان ودينان طغى أحدهما على الآخر ونبيان كل واحد منهما اسمه موسى قتل الثاني فيهما أفكار الأول بعد أن كان اليهود قد قتلوه فعلا.. ".

وفي ازدواجية التوراة يرى ويلز " أن هناك فكرة في التوراة تدحضها كتب التوراة ذاتها في تفصيلها، وهذه الفكرة هي القول بأن كل الناس قاطبة هم أبناء إبراهيم، وثمة هناك فكرة أخرى عن وعد قطعه " ياهوه " لإبراهيم بأن يفضل الشعب اليهودي على جميع الأجناس الأخرى، وثمة فكرة ثالثة هي الاعتقاد بأن " ياهوه " هو أعظم وأقوى آلهة القبائل طرا. فكانت هناك فكرة رابعة نشأت عن هذه الفكرات الثلاث هي الفكرة القائلة بأن هناك زعيما منتظرا ومسيحا منتظرا يحقق ما ترامى به الزمن من وعود " ياهوه " التي طال الأمد عليها [2].

فهذه النظريات جميعها التي قدمها الباحثون لتحليل وتحديد نوعية هذه

(1) عباس محمود العقاد، " إبراهيم سيد الأنبياء "، ص 129 - 130.
(2) ويلز، " تاريخ معالم الإنسانية "، الكتاب الرابع، ص 291 - 292.

الازدواجية التوراتية سواء من وجود إبراهيمين أو وجود شخصين يدعيان موسى لم تأت بالحل المتوخى بل إنها زادت تعقيدا لأنها تفتقر إلى قرائن تاريخية تدعمها إذ أنها جميعا من قبيل الحدس والرجحان. أما الحقيقة فإننا نراها واضحة جلية في ضوء الاكتشافات التي وصلتنا عن تحديد أزمان الوقائع التاريخية، حيث يتجلى لنا فيها نوع الازدواج على حقيقته، ففي التوراة حوادث تاريخية وقعت وأسماء لشخصيات عاشت في عصور مختلفة بنى عليها كتبة التوراة شتى الأساطير والقصص والخرافات وفق ما أملته عليهم أهواؤهم ورغباتهم تحقيقا لأغراض معينة وقد أشرنا في عدة مناسبات إلى ماهية هذه الأغراض، ومن بين سطور التوراة نخلص إلى أن هناك ثلاثة أقوام أو ثلاث جماعات لكل منها ثقافتها الخاصة بها ظهرت في أزمنة متباعدة منفصلة الواحدة عن الأخرى حاول كتبة التوراة الجمع بينها واعتبارها جماعة واحدة مما أدى إلى التناقضات الآنفة الذكر وهذه الأقوام أو الجماعات هي:

أولا: الجماعة الإبراهيمية الإيلوهيمية، جماعة إبراهيم وإسحاق ويعقوب المرتبطة بالعصر الكنعاني (السامي العربي).

ثانيا: قوم موسى المختلط والمؤلف من جنود مصريين وبقايا الهكسوس وعبيد فارين.

ثالثا: اليهود العنصريون المرتبطون بدين " يهوه " الذي كتبه الأحبار وقد ربطوا صلتهم عرقيا وتاريخيا بإبراهيم وعصره وبفلسطين التي وعدهم إلههم يهوه بها [1].

هذه هي الازدواجية التي نلاحظها في التوراة والتي حاول كتبة التوراة ربط خيوطها بشبكة واحدة يستمدون منها أصلهم وتاريخهم فباءوا بالفشل في هذه المرحلة إذ أنها لم تصمد أمام التحليل العلمي المنطقي وفي ضوء الاكتشافات الأثرية الحديثة.

11 ـ التلمود في الديانة اليهودية:

يعد كتاب التلمود عند اليهود جزءا من أحكام الديانة اليهودية، والتلمود معناه

(1) في تفسير الزوهر أن عبارة " عظيم هو الرب " (من 145: 3)، تشير إلى الإله يهوه في حين أن عبادة " الرب سيد الأرض كلها " (يش، 3: 13) تشير إلى الرب " دون " سيد الأرض كلها. انظر:

G. G. Scholem "Zohar", 1963, P. 100.

التعاليم أو الشرح أو التفسير، وهى مجموعة الشرائع اليهودية التي نقلها الأحبار اليهود شرحا وتفسيرا للتوراة واستنباطا من أصولها، وأصل كلمة " تلمود " من العبرية (لامد) أى (يعلم). ويقسم التلمود إلى قسمين " المشنة " أى النص أو المتن، و " الجمارا " أى التفسير والشرح.

والتلمود اسم جامع للمشنة والجمارا معا. والمشنة عبارة عن مجموعة من تقاليد اليهود المختلفة في شتى نواحى الحياة اليهودية مع بعض الآيات من كتاب التوراة. أما الجمارا فهى مجموع المناظرات والتعاليم والتفاسير التي وضعت في المدرسة العالية بعد الانتهاء من وضع المشنة. ويزعم اليهود بأن هذه التقاليد والتعاليم ألقاها النبى موسى عليه السلام شفاهة على شعبه، وقد أعطيت له حين كان على الجبل ثم تداولها هارون وأليعازر ويشوع وسلموها للأنبياء ثم انتقلت من الأنبياء إلى المجمع العلمى الأعلى (سنهدرين) [1] وخلفائهم حتى القرن الثانى بعد المسيح عليه السلام ويعتبر أكثر اليهود التلمود كتابا منزلا ويضعونه في منزلة التوراة ويرون أن الله أعطى موسى التوراة على طور سيناء، ولكنه أرسل على يده التلمود شفاهة [2].

وهناك تلمودان يعرف أولهما بالتلمود الفلسطينى ويسميه اليهود الأورشليمى[3]، ويعرف الثانى بالتلمود البابلى[4]، ولكل من هذين التلمودين طابعه الخاص هو طابع البلد الذي وضع فيه، ولغتا التلمودين مختلفتان وتمثلان لهجتين أراميتين، التلمود الفلسطينى بالأرامية الغربية، أما التلمود البابلى فلهجته أرامية شرقية أقرب ما تكون إلى النداثية (العراقية) وقد احتوى على بعض مصطلحات يونانية ولاتينية، وحجم التلمود البابلى أوسع من التلمود الفلسطينى بأربعة أضعاف ويقع في 5894 صفحة ويطبع عادة باثنى عشر جزءا.

---

(1) انظر ما تقدم عن السنهدرين.

(2) الدكتور أحمد شلبى، " مقارنة الأديان اليهودية "، ص 266.

(3) L.Ginsberg, "The Palestinian Talmud", N.Y., 1941; Radkinson. "History of the Talmud"; J.Beckley, "The Talmud".

(4) C.Danby, "The Talmud"; Dra ch, "The Harmony between the Church and the Synagoge".

وقد دون التلمود الفلسطينى في طبرية حيث نشأت في فلسطين طبقة من العلماء يعرفون بـ " التنائيم " فأخذ هؤلاء يشرحون أحكام التوراة ويدونون قوانينها وتبويب شرائعها في مجموعة أصبحت تعرف بـ " المشنة " وقد استغرق وضعها حوالى مائتى سنة (10 - 220 م) حيث تم جمعها بعناية الحبر الأكبر يهوذا بن شمعون الملقب بالربن الأقدس (135 - 220 م) سنة 200م. وهو الراب الأكبر يهوذا بن الربن عمليال سابع رؤساء المجمع اليهودى الأعلى (سنهدرين) جامع المشنة التي أصبحت أساسا للتلمود [1]، و " التنائيم " كلمة أرامية جمع (ثناء) أى (معلم).

ثم نشأت في فلسطين أيضا طبقة ثانية من الربانيين يعرفون بـ " الأمورائيم " أى الأساتذة المحدثون فأخذ هؤلاء يدرسون المشنة ويعلقون عليها التعليقات الضافية ويشرحون متونها شرحا وافيا يتناول شرائع اليهود وتقاليدهم وطقوسهم وتاريخهم، وقد جمعت هذه التعليقات والشروح في مجموعة أصبحت تعرف بالتلمود الأورشليمى، وكان الفراغ منه في أواخر القرن الثالث الميلادى وقد فقد قسم كبير منه. و " الأمورائيم " كلمة عبرية جمع " أمورا " أى مكلم أو شارح.

ولما اشتد ضغط الرومان على اليهود في فلسطين لم يعد باستطاعة الرابيين الاستمرار على الدرس والبحث بحرية وأمان فاضطر عدد كبير منهم إلى الهجرة إلى العراق حيث أنشؤوا مدارس كبرى للأمورائيم. وفى هذا المحيط الذي كان يسوده الأمان والحرية الدينية المطلقة استطاع الأمورائيم أن يشرحوا المشنة شرحا أكثر تفصيلا وأتم موضوعا مما اضطلع به علماء فلسطين فصارت مجموعة الشروح العراقية تعرف بالتلمود البابلى الذي تم وضعه سنة 490م وبها انتهى دور الأمورائيم ".

وقد تأسست في العراق أربعة مراكز رئيسية للدراسات الدينية تحت إشراف الرابيين قد تعاونت فيما بينها في وضع التلمود البابلى، ثلاثة منها على نهر الفرات أعلاها " نهر دعه " في منطقة الفرات الأوسط بجوار عانه وتليها جنوبا بلدة " فومبديتة " في جوار مدينة الأنبار و " سورا " في منطقة بابل، ثم " ماحوزا " على نهر دجلة بجوار طيسفون [2]، هذا مع العلم أن " نهر دعه " كانت

(1) رحلة بنيامين، ص 197.

(2) يقول ابن العبرى في مؤلفه " مختصر تاريخ الدول، ص 149: " أن كسرى الأول (أنوشروان) بعد أن استولى على إنطاكية نقل سكانها إلى مدينة جديدة خصصها لهم

من مدن التلمود المهمة وكان موقعها في منطقة الفرات الأوسط والظاهر أن اسمها كان يشمل الإقليم بأجمعه ومن ضمنه مدينة الأنبار، وقد تعرضت " نهر دعه " إلى هجوم أذينة الثاني ملك تدمر. فبعد انتصاره على الملك شابور الأول سنة 262م هاجم المدينة وهدمها بما فيها مدرستها الدينية اليهودية.

وعلى أثر ذلك انتقلت المدرسة إلى " ماحوزة " ثم أصبحت " سورا " مركزا رئيسيا للدراسات الدينية اليهودية في بابل بعد أن أسس فيها أبا أريحا المسمى بالراب مدرسة كبرى سنة 219م. ونشأت معها " فومبديثة " بجوار مدينة الأنبار التي تأسست فيها أيضا إحدى كبريات المدارس التلمودية. ولفظة فومبديثة تعنى " فم البداة " والبداة ذكرها ياقوت ووصفها بأنها والبجة معها تشكلان طوجين سواد الكوفة [1].

وقد ذكر بنيامين القطى الذي زار العرق في القرن الثانى عشر للميلاد أن الأنبار هى " فومبديثة " في " نهر دعة " ويقيم فيها نحو ألفى يهودى بينهم العلماء والفقهاء، ومنهم الربيون حنين وموسى والياقيم وبها من القبور قبور الربيين يهوذا وصموئيل، وبها أيضا كنيس ر. بستناى رأس الجالوت[2]. والربين

قرب المدائن سماها أنطاكية ثم استخدم الكتاب السريان واليهود اسم " ماحوزة " للدلالة على كل بلاء سلوقية.

(1) ياقوت الحموى، " معجم البلدان "، ج1، ص 770، م2، ص 31.

(2) رأس الجالوت اصطلاح عربي أطلق على رئيس الطائفة اليهودية في دار الإسلام (الدولة الإسلامية)، وأصل اللفظة أرامي تعني رأس الجالية أما اليهود فكانوا يطلقون عليه لقب " ريش جالوتا ". وفي خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه تولى رئاسة الجالوت بستناي بن حنيناي سليل رؤساء الجالوت الأقدمين من آل داود، فأقره الخليفة في منصبه بكتاب عهد وجه إليه، وكان مقر رأس الجالوت في مدينة " سورا "، وكانت سلطة رأس الجالوت في عهد الخلفاء العباسيين كما تنا بنيامين التطلي في رحلته (ص 135 - ==138)، تسرى على جميع الطوائف اليهودية المنتشرة في العراق وفي بلاد خراسان واليمن وجزيرة العرب وما بين النهرين وأرمينيا وأذربيجان وجورجيا حتى شواطئ نهر جيحون وسمرقند والتبت وديار الهند، وبعد تأسيس مدينة بغداد في عهد المنصور سنة 762م، انتقل رأس الجالوت إلى العاصمة الجديدة.. ويرجع تنظيم جماعات اليهود تحت رياسة رأس الجالوت إلى القرنين الثاني والثالث الميلاديين.

ناثان ونحمن بن بابه [1]. أما " سورا " فكانت تقع بجوار الحلة على صدر شط النيل المتفرع من الفرات وكان يعرف قديما بـ " نهر سورا " ويسميه ابن سرابيون بالصراة الكبرى وقد أعاد حفره الحجاج بن يوسف، وكان عند سور جسر شهير يعرف بقنطرة الفامنغان، وكان رأس الجالوت في سورا عندما تأسست فيها مدرسة كبرى سنة 219م، كما تقدم بيانه، وقد استمرت هذه المدرسة تقوم بمهمتها ثمانية قرون حتى أغلقت ومعها المدارس الأخرى في خلافة القادر بأمر الله (991 - 1031 م) ومن ثم انتقل مركز اليهود العلمي إلى الأندلس فأسسوا في مدينة قرطبة مدرسة كان طلاب العلم يسمونها في كل حدب وصوب. وقد نبغ منها جماعة انصرفوا إلى دراسة فلسفة أفلاطون فخرجوا عن السلطة الدينية التي كانت متمركزة في مدينة سورا، وقد اشتهر من بين فلاسفة قرطبة موسى بن ميمون الذي كان اجتهاده منصبا على الوفيق بين فلسفة أفلاطون والأسفار المقدسة. ثم تدهورت الدولة الأموية في الأندلس فتعرض اليهود للاضطهاد. وفى أواخر القرن الخامس عشر طرد اليهود من أسبانيا فاضمحلت الفلسفة اليهودية التي كانت تشغل المحل الثانى بعد الفلسفة العربية في عصر كانت فيه أوربا غارقة في ظلمات الجهل [2].

وقد نشأت في العراق بعد انتهاء دور " الأمورائيم " طبقة من العلماء عرفت بـ " السبورائيم " وهى كلمة عبرية معناها الأساتذة الشارحون وكانت تطلق على طبقة من العلماء اليهود استمر نشاطهم العلمي في بابل من سنة 500 إلى سنة 588 بعد الميلاد وكانت أهم أعمالهم التعليق على التلمود وتنظيم أبوابه وفصوله بالشكل الذي هو عليه حتى يومنا هذا. وأخيرا تولى الغاؤونيم مسئولية تعليم التلمود، وإصدار الفتاوى الدينية ليهود الشق والغرب وقد استمر عمل الغاؤونيم حوالى 450 سنة بين سنة 589 وسنة 1030م، و الغاؤونيم كلمة عبرية جمع " غاؤون " وكانت تطلق على الرابيين من رؤساء المدرستين الدينيتين اليهوديتين في " فومبديثة وسورا " في بابل.

وفيما يلى أدوار الرابين الذين تعاونوا على وضع التلمود وتعليمه:

" التنائيم " في فلسطين 10 - 219م

(1) " رحلة بنيامين "، ص 129.

(2) ميللر بروز، " مخطوطات البحر الميت "، ترجمة محمود العابدى، عمان، 1967، 46.

" الأمورائيم " في فلسطين والعراق 219 - 500م
" السبورائيم " في العراق 500 - 588م.
" الغاؤونيم " في العراق 589 - 1030

وفى التلمود تأكيد لمبدأ الاستعلاء والتفوق العنصرى اليهودى على بقية شعوب الأرض وجعل الناس عبيدا لليهود باعتبارهم الشعب المختار وأن الله قد اصطفاهم من دون سواهم من شعوب الأرض، كما تتجسم فيه انعزالية الشعب اليهودى، وحقه في جميع خيرات الأرض التي وهبها له إلهه الخاص دون الآخرين من الناس، فكان التلموديون يصورون اليهود " وكأنهم من طينة أرفع من طينة باقى الجنس البشرى غير اليهودى التي لم تعتنق الديانة اليهودية خدم لهم كغيرهم من الحيوانات غير العاقلة [1]. وتحت عنوان " عصر الإيمان " يقول العلامة ديورانت: " إن الربانيين والحاخاميين أخذوا يفسرون التوراة حسب أهوائهم بالشكل الذي يرضى غرائزهم الشريرة ونزوعهم إلى الاستعلاء على بقية أجناس البشر " [2].

وينص التلمود على أنه " يجب على كل يهودى أن يبذل جهده لمنع تسلط باقى الأمم في الأرض، حتى تصير السلطة لليهود وحدهم، فإذا لم تصر إليهم السلطة عدوا أنفسهم وكأنهم في حياة المنفى والأسر، ويعيش اليهود في حرب مع باقى الشعوب حتى ينتقل لهم الثراء والسلطان من الجميع وحينئذ يدخل الناس أفواجا في دين اليهود " [3].

أما نظرة التلموديين إلى المسيحية فقد جاء في التلمود الكثير من عبارات الطعن والشتم للمسيحية والسيد المسيح عليه السلام مما لا يستسيغه المستوى الخلقى الإنسانى ونحن نحجم عن نقل تلك العبارات التي يندى الجبين لها خجلا حتى ولو قيل أن ناقل الكفر ليس بكافر[4] ويجيز التلمود استخدام الكذب والنفاق مع غير اليهود [5].

ويقول التلمود " بالتناسخ " وهو فكر كان تسرب من الهند إلى بابل وأخذه

(1) " الكنز المرصود في قواعد التلمود " ص 10.
(2) ديورانت دل، " قصة الحضارة "، " فصل عصر الإيمان "..
(3) " الكنز المرصود في قواعد التلمود "، ص 48، 49.
(4) الدكتور أحمد شلبى، " مقارنة الأديان اليهودية "، ص 270.
(5) المرجع السابق، ص 268.

حاخامات بابل من المجتمع البابلى [1].

وأسس مباحث التلمود تقوم على ستة أبواب:

1- الفلاحة.

2- الأعياد والمواسم.

3- النساء وما يتعلق بهن من زواج وطلاق وحضانة ونذور وإرث ووصية.

4- النواهى والعقوبات.

5- الذبائح وما يتعلق بالتقدمات والقرابين ومراسم الهيكل وما إلى ذلك.

6- الطهارة.

وكان اليهود حريصين على أن لا يطلع على التلمود غيرهم إلا من يأمنون جانبه من غير اليهود ممن يؤيد نزعاتهم خوفا من ثورة العالم المسيحى ضدهم، فقد أخفوه أربعة عشر قرنا منذ أن وضعه حاخاموهم، وفى سنة 1243م أمرت الحكومة الفرنسية في باريس بإحراق التلمود علنا بعد أن كشف ما يحتوى عليه من عبارات الطعن والإهانة ضد الأغيار من الناس وضد المسيحية بوجه خاص، وقد تم حرقه عدة مرات في مختلف الأزمان والأقطار.

وأقدم نسخة مخطوطة للمشنة موجودة في " بارما " ويرجع تاريخها إلى القرن الثالث عشر الميلادى، وفى كل من كمبريج ونيويورك نسخة تعود إلى القرنين العاشر والحادى عشر بعد الميلاد، وقد ظهرت أول طبعة مشروحة للمشنة في بيبلس بإيطاليا سنة 1492، أما الطبعات الحالية فهى من القرن الخامس عشر والسابع عشر للميلاد، وأهم ترجمة إنجليزية للمشنة البابلية هى ترجمة كانون دنبى سنة 1935م.

ولما كانت العربية هى لسان اليهود في التخاطب في شئون الحياة العملية في البلاد العربية فقد وضع موسى بن ميمون، الفيلسوف اليهودى القرطبى الأندلسى (1139 - 1205م) بعد انتقاله إلى مصر تفسيرا وشرحا مفصلا بالعربية لكتاب المشنة سماه " السراج " وكتبه لفظا وتعبيرا باللغة العربية الدارجة في مصر وجعل الكتابة بالحرف العبرى، وقد أتم وضع الكتاب سنة 1168م، وقد ألف أيضا مصنفا آخر

(1) المرجع السابق، ص 267.

بالعبرية يبحث في الفقه اليهودى استمده من التلمود وشروحه وهوامشه وأطلق عليه اسم " تثنية التوراة " وقد اعتمد في ذلك على التلمود البابلى مع الاستعانة بالتلمود الأورشليمى كلما دعت الحاجة إليه. كما وضع ابن ميمون كتابا آخر بعنوان " دليل الحائرين " حاول فيه أن يدعم المعتقدات اليهودية بأدلة عقلية منطقية لا نقلية وقد جرى في كتابه هذا على النحو الذي سلكه في كتابه " السراج " فهو بالعربية ولكنه كتب بحروف عبرية، وقد نسخ الكتاب بحروف عربية كما وأنه ترجم إلى العبرية، ويلاحظ أن موسى بن ميمون كغيره من الكتاب اليهود في القرون الوسطى لم يعن عناية كافية بقواعد الإعراب على النحو الصحيح في اللغة العربية[1].

وكانت أول طبعة كاملة للتلموديين الفلسطينى والعراقى بعد ظهور وسائل النسخ والمسخ تلك التي طبعت خلال سنى 1520 - 1524 في البندقية، وقد أحرق في إيطاليا سنة 1553م [2]. ويبلغ التلمود في اللغة الإنجليزية بأصوله ومتونة وشروحه وتعليقاته 36 مجلدًا [3]، وقد نقل الجزء الأول إلى العربية سنة 1909 وهو يذكر أهل الرجال في كل جيل من أجيال علماء التلمود. والعثور على نسخ كاملة من التلمود صعب للغاية نظرا لما حذفه المتأخرون من العبارات. فقد قرر المجمع الذي انعقد في بولونيا سنة 1631م بالإجماع أن العبارات التي تهين الأغيار يجب حذفها، وأن التعاليم القائلة بأن المسيحيين سافلوا الأخلاق لا يستحقون المحبة والعدل لا يجوز نشرها.

12 ـ طائفة القرائين ورفضهم التلمود:

إن حركة إنكار التلمود وعدم الاعتراف بأحكامه وبتعاليم الربانيين والحاخامات والتمسك بأسفار العهد القديم وحدها، تلك الحركة الإصلاحية الدينية التي نادى بها السامريون والصدوقيون من قبل، ظهرت من جديد في القرن الثامن للميلاد على لسان عدد من اليهود، فقد ظهر حوالى سنة 720 ميلادية يهودى من أهل سورية يدعى " المسيزينوس " نادى بنبذ التلمود وجعل شعاره " اتركوا تعاليم التلمود " وصار له أتباع كثيرون حتى أعلن أنه هو المسيح

(1) ولفنسون، " موسى بن ميمون "، ص 41 - 141.
(2) "Jewish Encyclopedic Handbooks", N. Y. vol. I, P. 218.
(3) عجاج نويهض، " بروتوكولات حكماء صهيون "، م2، ص 149 - 199.

المنتظر. وكان ذلك في خلافة يزيد بن عبد الملك (720 - 724م) فأمر بتسليمه لليهود أنفسهم ليتولوا محاكمته وانتهى بذلك أمره. ثم ظهر بعده يهودي آخر من أصفهان يدعى عوبديا بن عيسى نادى بالإصلاحات نفسها أى عدم الاعتراف بالتلمود، وأدخل تعديلات كثيرة على الأحكام اليهودية.

وكان ذلك في حوالى سنة 750م وكانت تعرف هذه الفرقة بالعيسوية وأتباعها يقرون بنبوة عيسى ونبوة محمد ◘.

يقول ابن حزم في كتاب " الفصل في الملل والأهواء، والنحل (ج1، 99) في وصف العيسوية بما نصه: " العيسوية وهم أصحاب أبى عيسى الأصبهانى رجل من اليهود كان بأصبهان وبلغنى أن اسمه كان محمد بن عيسى وهم يقولون بنبوة عيسى ابن مريم ومحمد صلى الله عليه وسلم، ويقولون أن عيسى بعثه الله عز وجل إلى بنى إسرائيل على ما جاء في الإنجيل وأنه أحد أنبياء بنى إسرائيل، ويقولون أن محمدا ◘ نبى أرسله الله تعالى بشرائع القرآن إلى بنى إسماعيل عليهم السلام وإلى سائر العرب كما كان أيوب نبيا في بنى عيص وكما كان بلعام نبيا في بنى مؤاب بإقرار من جميع فرق اليهود ".

وقد ظهرت في القرن الثامن للميلاد فرقة يهودية أسسها الحبر عنان بن داود وهى تدعو لرفض التلمود وتنادى علنا بنبذه وتصف تعاليم الربانيين بأنها خارجة على التوراة، وقد أطلقت جماعة هذه الفرقة على نفسها اسم القرائين، أى قارئوا التوراة دون التلمود، وكان عنان متشبعا بآراء المعتزلة القائلة بأن العبد مسؤول عن عمله. وقد استمالت هذه الحركة كثير من يهود العراق فانضم إليها عدد كبير منهم وانتشرت الدعوة في مصر والشام وتركيا وإيران وبعض أجزاء من روسيا وأروبا الشرقية، وأخذ القراءون يدققون نصوص التلمود ويتعمقون في تحليلها علميا بقصد تفنيدها وفضحها. وقد رجعوا إلى الأديان السماوية التي شجبت العقلية التلمودية الاستعلائية كالإنجيل والقرآن، فقال عنان: " إن عيسى ابن مريم لم يكن زنديقا وأنه لم يشوه التوراة ولم يكذبها أو ينسخها، وأنه كان رجلا من البشر تقيا صالحا لم يفكر قط في النبوة أو الألوهية وإنما كان رجلا مصلحا أراد أن يخلص شريعة موسى من المفاهيم التي ألصقها الناس بها ". ونادى عنان كذلك " بأن محمدًا ◘ نبى حق وأنه كعيسى: ابن مريم لم يفكر قط في مخالفة التوراة أو التعدى عليها أو نسخ شرائعها ".

وقد اشتد الصراع بين القرائين والربانيين فنادى رؤساء كل من الفريقين بتكفير الفريق الآخر، ولم يترك القراءون أية ناحية ضعيفة في العقلية التلمودية إلا ولجوها بقصد فضح الربانيين والسخرية منهم.

وبلغت العداوة بين الفريقين أشدها حتى أن التلموديين أخذوا يغذون حقدهم على القرائين فحرموا الزواج منهم وإذا حدث ذلك اعتبروه زنا، كما اعتبروا الأطفال المولودين من هذا الزواج غير شرعيين ولا ينتمون إلى شعب الله المختار.. وقد أفتى بعض الربانيين برفض عودة القرائين إلى اليهودية على اعتبار أنه مرتد عن الدين... وقد نهى الحاخام الربانى البيزنطى كبالى أن يعلم أحد الربانيين التوراة القرائى كما حرم على الربانيين أن يقرؤوا في نسخة من التوراة كتبها أحد القرائين حتى ولو كانت صحيحة على أساس أنهم غير طاهرين. وقد اشتد غضب الربانيين على القرائين فشكوا الأمر إلى الخليفة المنصور باتهام عنان الزندقة ونقض شريعة موسى فأمر الخليفة بسجن عنان، وقد صادف أن التقى عنان في السجن بالإمام أبى حنيفة النعمان الذي كان المنصور قد سجنه لرفضه توليه القضاء، فقص عنان عليه قصته فنصحه الإمام بأن يدعى أنه أراد تطهير اليهودية من شوائب التلمود الذي كان من وضع الأحبار وأنه لم يقل بنقض شريعة موسى، فأطلقه المنصور على أن لا يبقى في بغداد فغادرها عنان إلى القدس حيث بنى كنيسة لجماعة القرائين، وقد ألف كتابين دعا فيهما إلى تحرير التوراة من قيود التلمود، الأول يدعى " كتاب الفرائض "، والثانى " كتاب الفذلكة ".

وقد تفاقم الخلاف بين القرائين والربانيين في مصر أيام الملك الفاطمى الظاهر ابن الحاكم بأمرالله (1020 - 1035م) وذلك بسبب الخصومة الناشئة بين الطائفتين على شؤون الذبائح التي كان مذهب القرائين فيها يختلف عن مذهب الربانيين التلموديين، فالقراؤون يحرمون ذبح أنثى الحيوان في أثناء حملها بينما يجيز ذلك الربانيون مما أحدث مشادة عنيفة بين الطائفتين، فطلب القراؤون أن يسمح لهم بفتح حوانيت خاصة تخضع لإشرافهم هم ولا تخضع لتفتيش الربانيين وأن يسمح لهم بفتح حوانيتهم في أعياد الربانيين التي لا يعترفون هم بمواقيتها، وقد استجاب الخليفة الظاهر لمطالب القرائين وأصدر مرسوما في 11 من جمادى الأول من سنة 415هـ (1024م) هذا نصه:

" من تتبع عاداتكم، واستمراركم في تقاليدكم التي أخذتموها عن دياناتكم دون عائق يقوم من طائفة ضد الأخرى أو قيام معاملة خشنة بينكما، فهذا يدعو إلى السماح لكل طائفة بأن تعيش وتعيد كما تهوى، مع تمكين كل طائفة في بيع وشراء ما تشتهى، وأن تحتفل بعيدها كما تريد ومتى ترغب بكامل حريتها ومطلق إرادتها، وأحذر الطائفتين من التدخل في شئون بعضهما أو إحداث شغب أو مضايقة بعضهما، إن الأمان مكفول لهم جميعا، وعليكم عدم تمكين شرير بينكم من الإتيان بشئ ممنوع، وعليكم تجنب المناقشات التي تؤدى إلى سوء العاقبة، وعليكم المحافظة على ذلك، والعقوبة ستحل بكل فرد يتجاوز حدوده ويأتى بأعمال محرمة. فمثل هذا الشخص سيعاقب عقوبة شديدة وسيكون مثالا لغيره حتى لا يحتذيه أحد، كذلك يحرم التدخل في شئون طائفة القرائين في معابدهم الخاصة بهم وحدهم ".

" وهذا الأمر صادر من أمير المؤمنين، فعليكم العمل على تنفيذه واحترامه، وعلى أمير الجيوش - ساعده الله - أن يساعد على تنفيذه، وعلى رؤساء الأقاليم العناية العادلة بالطائفتين، وعلى الحكام إصدار الأوامر الخاصة بوجوب العناية والمحافظة على أفراد الطائفتين والعمل على عدم اضطهادهم.

" حرر في يوم الأربعاء 11 جمادى الأول عام 415 هـ (1024م) (الأكوز على عبد الواحد وافى " للأسفار المقدسة " ص 65 عن الملل والنحل عن ابن حزم.

واستمرت حركة القرائين العلمية نشيطة على يد زعماء من أقطار الفكر القرائى حتى مستهل القرن السابع عشر الميلادى فظهرت مع الزمن مدارس علمية قوية في مجتمع القرائين، ثم تقلص ظل القرائين مع انتشار اليهود الربانيين بأعداد كبيرة في أوربا وأمريكا وكثير من البلاد التي استعمرها الغرب في أفريقيا وآسيا وظل القراءون منكمشين في الشرق. وقد كان لظهور الصهيونية واتساع نفوذها الأثر الكبير في إخماد حركة القرائين وتقلص ظلهم، وذلك على الرغم من ظهور علماء متبحرين في الفقه اليهودى من بين طائفتهم ووضعهم العديد من كتب التفاسير والشروح الدينية، حيث كانت الصهيونية ترى في طائفة القرائين أكبر خطر يهدد مشروعها السياسى الاستعمارى الذي خطته بالاتفاق مع الربانيين للاستيلاء على فلسطين واتخاذها وطنا قوميا لليهود بالقوة.

وفى ذلك يقول الدكتور ظاظا: " وكان للقرائين في تركية وروسيا ومصر نشاط ملحوظ ضد الصهيونية، ولكن هذه الأخيرة استعانت بالجواسيس والعملاء واستغلت ظروفا حربية وسياسية معينة لاصطياد بضعة آلاف من القرائين وإدخالهم إلى إسرائيل، وهم يعيشون هناك كرهائن وكوسيلة للمساومات السافلة مع من بقى من القرائين خارج هذا الشرك إذ أرغمتهم الصهيونية على التزام الصمت والكف عن مهاجمتها حرصا على حياة أبناء طائفتهم في إسرائيل وأمنهم ".

ويختتم الدكتور ظاظا كلامه عن " القرائية والصهيونية " بقوله: " والآن هل تنتفض القرائية وتنهض من جديد؟ هذا أمر مستبعد تحت الثقل الساحق للربانية وصهيونيتها، ولكن ربما أثر المذهب القرائى في الفكر اليهودى العام بحيث تتولد من هذا التفاعل اتجاهات أكثر تعقلا " (1).

13 ـ القبالة والزهور:

وقد ظهر بعد إنجاز كتابة التلمود عدد من الأحبار اليهود، الذين تأثروا بالآراء الشرقية ودين الفرس وزرادشت فخرجوا بمجموعة باطنية من الحكم التي لها علاقة بأسرار الكون وبالإله والكائنات ونشأت عنهم حركة دعيت في مراحلها الأولى " الحكمة المستورة " وصارت تعرف عند اليهود بـ " القبالة " وهى كلمة عبرية معناها القبول أو تلقى الرواية الشفوية. ويذهب أولئك الأحبار إلى أن هذه الحكم نزلت على القديسين منذ أقدم الأزمنة وقد احتفظ بها بعض الأحبار.

وبالرغم مما أخذته القبالة من الزرادشتية من جموح وخيال وتطوح أعطاها صيغة ميثولوجية فقد بقيت في جوهرها موسوية يهودية " (2).

وهذا الوحى الذي يتناول القوى الباطنية للسماء والأرض كان الخوض فيه مقصورا على نخبة مختارة هم الفاهمون والعقلاء، الذين انصرفوا للبحث عن السر الإلهى فيما يتعلق بمصير الإنسان، وكانوا قبل كل شئ يبحثون عن معرفة العلائم التي تنبئ بظهور المسيح اليهودى الذي ينقذ الشعب المختار من الآلام التي يعانيها، هذه هى " عقيدة المسيح المنتظر " التي انبثقت من عقيدة السيادة والامتياز للشعب اليهودى.

---

(1) الدكتور حسن ظاظا، " الفكر الدينى الإسرائيلى "، 1931، ص 295 - 306.
(2) عجاج نويهض، " بروتوكولات حكماء صهيون "، م2، ص 107.

" ويدعى القباليون أن كتاب التكوين عندهم مستمد من موسى، وأن موسى قد استمده من إبراهيم، إذا لم يكن من آدم، أو ممن هو أقدم من آدم وأعلى مقاما " [1]، أما المنابع الرئيسية التي استقت منها القبالة مادتها فهى كما يقول الحاخام بوكس: " أن المنابع التي استقت القبالة منها مادتها هى الروايات الباطنية التلمودية ومذهب التصوف الذي راود الغاؤونيم والفلسفة العربية الأفلاطونية " [2].

وكانت هذه الدراسات خلال القرن الثالث عشر الميلادى وما بعده مقتصرة على فئات محدودة ثم انتشرت انتشارا واسعا مما أدى إلى ظهور مجموعة أدبية كتبت بلهجة خاصة من اللغة الأرامية، وقد جمعت كلها في كتاب مقدس جديد هو " الزوهر " والزوهر كلمة عبرية معناها " النور " أو " الضياء " والتسمية مأخوذة من التوراة " والفاهمون يضيؤون كضياء الجلد " [3].

وأما واضعه فإنه موسى الليوبى (1250 - 1305م) وقد دونه بالأرامية في أسبانيا، غير أن المعروف أن ما احتواه الزوهر من الشعائر الصوفية وما إليها من حكم ترجع إلى زمن الحاخام سمعان بن يوشاى من القرن الثانى الميلاد الذي قيل عنه أنه بقى متخفيا في إحدى مغاور فلسطين ثلاث عشرة سنة كشفت له خلالها أسرار السماء والأرض فيها. وتتصل أسرار الزوهر بالتوراة وكل كلمة أو حرف من حروفها يحمل باعتقاد القباليين معنى باطنى. وفى أسطورة من أساطير الزوهر أن الاثنين والعشرين حرفا من الأبجدية العبرية نزلت من السماء قبل الخليقة بستة وعشرين جيلا وأنها تقشت بنار ملتهبة [4].

والحياة في عرف الزوهر صراع بين الخير والشر، وكلاهما يخدمان غاية مقدسة، فكل عمل خير وكل صلاة حارة تبعث قوة روحية تؤدى إلى انتصار الخير على الشر ذلك الذي سوف يظهر بكل جلاء وبهاء مع ظهور المسيح المنتظر[5]، ومن القباليين المشهورين نحمان وموسى بن ميمون وكلاهما ظهرا

(1) المرجع السابق، م2، ص 191.
(2) الحاخام بوكس، " تراث إسرائيل "، ص 32.
(3) (دا، 12: 3).
(4) Ben Shahen, "The Alphabet of Creation - An Ancient Legend from the Zohar with Drawings", 3d printing, NY., 1972.
(5) R.Learsy, "Israel", p. 305.

في الأندلس وقد سبقت الإشارة إلى بعض مؤلفات الأخير[1].

14 ـ عقيدة "المسيح المنتظر":

يتضح مما تقدم أن القبالة لعبت دورا هاما في تطور العقل اليهودى، وقد كانت كل هذه التوغلات الصوفية الأسطورية الباطنية تدور حول شئ واحد هو التطلع إلى ظهور المسيح اليهودى المنتظر الذي سينقذ اليهود (شعب الله المختار) من آلامه ويملكه على العالم. ويؤخذ من مجمل التفسيرات التلمودية التي تعود لنصوص التوراة أن المسيح المنتظر هو إما من نسل داود أو من نسل يوسف وعرضت له أسماء متعددة حسب النصوص المعتمدة. ولما كان مجئ المسيح اليهودى يعتبر تجديدا للعالم فلابد وأن يسبق مجيئه عودة للفوضى، وكانت كل الآلام والمصاعب التي تحملها اليهود عبر تاريخهم تفسر وتقبل على أنها (آلام المخاض). وبعد مجئ المسيح وانقضاء فترة (المخاض) فإن العالم الجديد المقبل لن يكون كالعالم الحالى. فالسلام سيعم العالم الجديد، البكاء والأنين يختفيان من العالم ولن يكون بعد ذلك شكوى أو احتجاج أو حزن، تبارك إسرائيل بمجئ المسيح اليهودى وينتهى عنها الضغط وتتبوأ مركزها العالمى الذي أعده لها الرب. ويتبدل مصير إسرائيل لدرجة أن كثيرا من الغرباء سيحاولون الانضمام إلى الطائفة، ولكنه يتوجب رفضهم لأن رغبتهم ينقصها الخلاص (لا مهتدى يقبل في أيام المسيح). وأغرب ما تضمنته معتقدات العالم الآخر اليهودى، هو محاكمة الأمم حيث تشهد محاكمة أعداء إسرائيل الأرضيين، ومجمل هذه المعتقدات مستوحى من حياة تشتت وصلت إلى مداها الأبعد، في الفترة الرومانية، وولدت حقدا وكراهية لبقية الشعوب، وولدت آمالا مسيانية بنهاية العالم لخدمة مصالح اليهود في عالم آخر مادى أو غير مادى وللانتقام من أمم الأرض التي ناصبت اليهود العداء [2].

---

(1) انظر عجاج نويهض، " بروتوكولات حكماء صهيون "، م2، ص 190 - 205.
وانظر أيضًا:

A.E Waite, "The Holy Kabbalah"; 2 vol; A, Frank, "The Kabbalah", Paris, 1843; Ginsperg "The Kabbalah", Benson, "The Zohar in Moslem Spain"; Pauley, "The Zohar"; G.G.Scholem (editor), "Zohar - The Book o f Splendor", N.Y., 1963.

(2) قاسم الشواف، " مع الكلمة الصافية "، ص 150 - 156.

ويرى البعض أن فكرة المسيح المنتظر برزت من الفكر اليهودى في وقت متأخر ولم تظهر إلا بعد سقوط دويلة اليهود وأسرهم في بابل ثم خضوعهم للفرس[1]، وهذا ما دفع كثيرين من الباحثين إلى الاعتقاد بأن فكرة المنقذ المخلص مستعارة من الزرادشتية التي كان يدين بها الفرس [2]، وتتحدث التوراة في بعض أسفارها [3] عن المسيح المنتظر فتقول: " يولد لنا ولد، ونعطى ابنا، وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا ويكون إلها قديرا وأبا أبديا رئيس السلام، لنمو رياسته يجلس على كرسى داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن وإلى الأبد، غيرة رب الجنود تفعل هذا " [4].

وقد رسم اليهود الصورة التي تخيلوها للمسيح المنتظر فذكروا أن الناس في ظله لن يعيشوا وحدهم في العالم الجديد في سلام وسعادة بل يشاركهم في ذلك كل أنواع الحيوانات، فالذئب يسالم الحمل، والعجل يداعب الأسد، ويربض النمر مع الجدى، والعجل المسمن والشبل معا، وصبى صغير يسوقها، والبقرة والدبة ترعيان، تربض أولادهما معا... الخ. ويكون في ذلك اليوم أن السيد يعيد يده ليقتنى بقية شعبه التي بقيت من أشور ومن مصر ومن... ومن حماة ومن جزائر البحر، ويرفع راية للأمم ويجمع منفيى إسرائيل، ويضم مشتتى يهوذا من أربعة أطراف الأرض [5]، وظهر عيسى ابن مريم وأعلن بعض اليهود أنه المسيح المنتظر ولكن أكثرهم رفضوا هذا الرأى وقاوموا دعوة عيسى حتى حاكموه وصلبوه.

وانطلاقا من عقيدة " المسيح المنتظر " قام واحد بعد الآخر من الأدعياء والدجالين كل يدعى أنه المسيح المنتظر، ففى عام 640م ادعى يهودى من بيت أرامايا من قرية الفلوجة بالعراق أنه المسيح المنتظر، وقد تجمع حوله حوالى 400 شخص من مختلف المهن وحرقوا ثلاث كنائس وقتلوا عمدة المنطقة، ولما بلغ خبر هذا المسيح وأعوانه السلطة أرسلت ثلة من الجيش أعملت فيه بطشا

(1) الدكتور أحمد شلبى، " اليهودية "، ص 2110.
(2) المرجع السابق، ص 211.
(3) أشعيا وأرميا وعاموس.
(4) (إش، 9: 6 - 7).
(5) الدكتور أحمد شلبى، " اليهودية "، ص 219، 212 - 213.

وتقتيلا وقبض على المسيح المنتظر وأعدم [1].

ومن أولئك الأدعياء في الشرق الإسلامى خلال القرون الوسطى، دجال ظهر في الشام في آخر خلافة عمر بن عبد العزيز وأول خلافة يزيد الثانى (720 - 724م) وآخر من بلدة شيرين ادعى أنه المسيح المنتظر، ووعد بأنه سيحقق معجزة استعادة فلسطين، وفى القرن ظهر يهودى آخر من بلدة أصفهان يدعى عبيد الله أبو عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهانى ابتدأ دعوته في زمن آخر ملوك بنى أمية مروان بن محمد (744 - 750م) وقال إن عودة فلسطين لن تتم إلا بالقتال، وأعد جيشا قوامه عشرة آلاف مقاتل من اليهود، وقد عاشت حركته فترة من الزمن في عهد السفاح إلا أن الخليفة المنصور قضى على هذه الحركة وهزم جيش اليهود، وفر أبو عيسى باتجاه الشمال [2].

وفى حوالى 1160م وفى عهد خلافة المقتفى لأمر الله العباسى حدثت فتنة كان سببها يهودى يدعى داود بن الروحى كان قد ادعى أنه المسيح المنتظر. وداود هذا نشأ في سواد الموصل ثم انتقل إلى بغداد حيث تفقه بعلوم اليهود في مدارسهم الكبرى، وقد برع في علوم العرب ولغتهم، يضاف إلى ذلك إتقانه لفنون السحر والشعوذة، وقد اختار بلدة العمارية في شمال العراق ليعلن نبوته فيها، إذ كان ينوى الاستيلاء على قلعتها الشهيرة بالقوة فبلغ خبر ذلك صاحب العمادية فقتله [3].

وقد بقيت فكرة مجئ المسيح المنتظر مسيطرة على العقل اليهودى وكانت تشتد كلما وقعت حركة اضطهاد ضد اليهود، ولما وقعت حوادث الاضطهاد باليهود التي حلت باليهود في بولونيا سنة 1948م، قيل عنها أنها بشير لليهود بقرب مجئ المسيح، وقد ظهر هذه المرة شاب يهودى يدعى " ساباتاى زيوى " من أهل أزمير (تركيا) لم يكن قد تجاوز بعد الثانية والعشرين من عمره، وكان قبالى متحمسا لتعاليم الزوهر، وادعى أنه المسيح المنتظر، وما أن أعلن دعوته حتى تبعه عدد كبير من اليهود المتحمسين رغم إنكار رجال الدين دعوته، وأول عمل نادى به هو إلغاء بعض الطقوس الدينية الموروثة ثم إدخال تعاليم جديدة تتفق مع روح القبالة والزوهر ومن ثم دعا إلى شطب اسم السلطان محمد الرابع

(1) موسيل، " الفرات الأوسط "، النص الإنجليزى، ص 280.
(2) الدكتور أحمد شلبى، " اليهودية "، ص 214.
(3) " رحلة بنيامين التطلى "، ص 206 - 209، 154 - 157.

من الخطب وإحلال اسمه " ساباتاى المسيح " محله وأضاف إليه لقب ابن داود وسليمان. واستمر ساباتاى ينشر مدعياته في الأوساط الدينية اليهودية في العالم فصار له أعوان كثيرون صاروا يسمون معارضيهم " كوفريم " أى الكفار، وفى سنة 1666م غادر ساباتاى أزمير مع جمهرة من أعوانه متجها نحو استامبول لممارسة سلطته كملك، ولكن الباخرة التي كانت تقله مع أعوانه داهمتها عاصفة شديدة اضطرتها إلى اللجوء إلى مضايف الدردنيل ومن هنا سيق مكبلا بالحديد إلى استامبول حيث قدم توا إلى الوزير الأعظم أحمد كوبريلى، ومع أن الوزير كان يشعر بخطورة الوضع بسبب الهياج والقلق اللذين أحدثهما " ساباتاى " إلا أنه كان يرى بأن الحالة تكون أخطر إذا استعملت الشدة فأمر بسجنه تحت الرقابة في استامبول، ولما حاول ساباتاى مغادرة العاصمة تقرر نقله إلى قلعة أبيدوس على الدردنيل، غير أن إبعاده زاد من نفوذه ومكانته الدينية، فصار الناس من أتراك ويهود يذهبون لزيارته في سجنه حتى أصبح مقره في أبيدوس محجا لأعوانه ولمعتنى دعوته وقد لقى " ساباتى " أعوانا متنفذين يبثون الدعاية له، ففى استامبول أبرز إبراهيم ياكينى أحد رجال الدين كتابا قديما يشير إلى أن المسيح المنتظر هو " سباتاى زيوى " وفى القاهرة انتصر له ودعم دعوته اليهودى الثرى روفائيل يوسف جلبى، فكان ظهيرا حارا لدعوة ساباتاى ومده بالمال الكثير لينفقه على أعوانه وعلى يهود أورشليم، وفى غزة وجد ساباتاى في ناتان بنيامين لاوى أكبر عون لبث دعوته، ولما توسع نفوذ ساباتاى وازداد سلطانه بين الطائفة اليهودية في تركيا أمر السلطان محمد الرابع الذي أصبح يخشى اغتصاب ساباتاى الحكم منه بنقله إلى أدرنة، وعقد السلطان اجتماعا للتداول في مشكلة ساباتى وإيجاد حل لها فاستقر الرأى على تكليف إحدى الشخصيات ذات النفوذ من اليهود أن تتولى أمر إقناع ساباتى وحمله على إعلان إسلامه إنقاذا له ولأتباعه من الدمار والهلاك، وقد تم ذلك بالفعل فأعلن ساباتاى إسلامه وسمى محمد أفندى وأجرى له السلطان راتبا شهريا، ولكن ساباتاى رغم إسلامه استمر بالادعاء خفية بأنه المسيح [1]، وأخذ يبث تعاليمه الدينية بين طائفة الدونمة في تركيا وهم اليهود الذين خرجوا من أسبانيا فاعتنقوا الإسلام في الظاهر بينما كانوا يمارسون

(1) عجاج نويهض، " بروتوكولات حكماء صهيون "، م2، 20 - 213، جواد رفعت اتليفان، " الخطر المحيط بالإسلام "، ترجمة وهبى عز الدين، ص 78، روفوس ليرى، " إسرائيل "، ص 360 - 369.

طقوسهم في الخفاء ولا يتزاوجون من غير الدونمة، وكان ساباتاى يدعى بأنه يبشر بالدين الإسلامى بين اليهود، ولكن هذه الحيلة لم تجده نفعا فنفى إلى مدينة دلسيكنو في ألبانيا وقد توفى فيها سنة 1676م.

التصوير رقم (60)
زيوى ساباتاى

15 ـ دور الحركة القبالية في القرن الثامن عشر:

على أن دعوة ساباتاى لم تخمد بل استمرت حماسة أنصاره خلال القرن الثامن عشر وأسفر نشاط المدرسة القبالية عن حركة جديدة في بولونيا فظهر كثير من الأدعياء القباليين، وكان أشهرهم " إسرائيل البدولى " الذي أسس طائفة " الحسديم " في سنة 1740م، ويرجع إسرائيل تعاليمه إلى الزوهر، بيد أنه لم يسلم قط بنظرية القبالة القائلة في أن الكون هو صورة من صور الله، بل زعم أن الكون كله هو الله، وأن الشر عنصر من عناصره إذ أن الشر ليس خبيثا ذاته وإنما هو خبيث في علاقته بالإنسان وعليه فإنه ليس للخطيئة وجود مادى، وكان إسرائيل بارعا في ضروب السحر والشعوذة فالتف حول دعوته كثير من اليهود الذين خرجوا على تعاليم التلمود وتقاليده الأخلاقية، ثم ظهر في أثره داعية آخر هو " حويل بن أورى " وعكف على مزاولة الشعوذة والخوارق باسم الله وجمع حوله نفرا من الأنصار استمروا بعد وفاته يستغلون سذاجة العامة حينا [1].

وكانت أشهر الجمعيات القبالية في القرن الثامن عشر طائفة الفرنكيين نسبة إلى مؤسسها يعقوب فرانك سنة 1755، وقد عرف منتسبوها بـ " الزوهريين "

(1) محمد بن عبد الله عنان، " تاريخ الجمعيات السرية "، القاهرة، 1926، ص119.

أيضا أو " أخوان الشعلة " لانتمائهم إلى الزوهر. " وكان فرانك أحد أمهر دعاة القبالية وأعلمهم بأسرارها وتعاليمها انتمى إليه في منتصف القرن الثامن عشر في بودوليا (إحدى مقاطعات بولونيا) جمهور كبير من الأنصار والدعاة وعاش في بذخ شرقى هائل لم يهتد أحد إلى حقيقة مصدره، وقد نقم الأحبار اليهود على الزوهريين لنشاطهم في هدم اليهودية، وامتدت الخصومة بين الفريقين حتى أن الزوهريين أعلنوا في النهاية خروجهم على اليهودية واعتنقوا النصرانية علنا كما فعل فرانك نفسه، وانضموا إلى أسقف كامنيك في مقاومة الأحبار واليهودية. وقد استقر فرنك أخيرا في المانيا حيث أقام في أرفنباخ قرب فرانكفورت وتسمى بالبارون فون أو فنباخ، واستأنف بذخه الطائل مما كان يرد إليه من هبات أنصاره والمعجبين به.

التصوير رقم (61)
يعقوب فرانك

وقد وصف ملمان بذخ فرنك بما نصه: " كانت له حاشية من بضع مئات من الفتيان والفتيات اليهود من ذوى الحسن الرائع، وكان يذاع أن صناديق الأموال تنهمر عليه كل يوم ولاسيما من بولونيا، وكان يخرج كل يوم في موكب حافل ليقيم شعائره في العراء في عربة تجرها جياد مطهمة ويحرسه عشرة أو اثنا عشر فارسا يرتدون الثياب الموشاة بالذهب وقد رفعوا الرماح ووضعوا في قبعاتهم أهلة أو شموسا أو أقمارا، وكان أنصاره يعتقدون فيه الخلود، بيد أنه توفى سنة 1791م ودفن في بذخ يعدل كل بذخ حياته [1].

(1) المرجع السابق، ص 120.

وأكبر داعية من دعاة القبالة هو " حاييم صموئيل يعقوب فوك " أو " الدكتور فوك أو دى فوك " الشهير بـ " زعيم الشعب اليهودى بأسره " كان عضوا في جمعية البناء الحر ومتصلا بزعماء الجمعيات السرية. وقد ولد فوك في بودوليا في مطلع القرن الثامن عشر واتصل بالزوهريين ولبث حينا يزاول ضروب السحر والشعوذة في بودوليا وألمانيا. وكان يزعم أنه ذو قدرة خفية، وأنه يستطيع اكتشاف الكنوز الدفينة، ثم اضطهد وحكم عليه بالحرق لاتهامه بالسحر ففر إلى انجلترا وهناك استقبل بالترحاب وطار صيته وأذيعت عن قدراته أغرب الروايات. وقد ظهر فوك في لندن سنة 1742م معدما لا مورد له، بيد أنه ما لبث أن أثرى فجأة وبدت عليه علامات البذخ الطائل فاتخذ له قصرا فخما أقام فيه بيعة خاصة ازدانت موائده بآنية الذهب والفضة، وكان فوك مبجلا من المجتمع اليهودى وأحباره، وتوفى فوك في نيسان 1782م واحتفل بدفنه احتفالا فخما في إحدى مقابر لندن، ومما نقش على قبره: " هنا يثوى الشيخ الشريف، وهو رجل عظيم قدم من المشرق، وهم حكيم متبحر وداعية قبالى... وقد طار صيته إلى أقاصى الأرض والجزر النائية " [1].

16 ـ التوراة في القرآن الكريم بوجه عام:

لقد احتوت التوراة التي كتبها الأحبار بعد عهد النبى موسى على الكثير من المفاهيم الخاطئة التي شاعت بمرور الزمن إلى أن نزل القرآن الكريم فنبهنا إليها بدون لبس وغموض بحيث جاءت المكتشفات الأثارية والدراسات العلمية الحديثة مؤيدة للحقائق الواردة في القرآن الكريم.

ويمكن أن نوجز هذه الحقائق بما يلى:

أولا: يؤخذ من سور القرآن الكريم أن التوراة التي كانت بين أيدى الناس في زمن نزول القرآن المحمدى والتى هى نفسها بين أيدينا الآن هى غير التوراة التي أنزلت على النبى موسى في سيناء وقد كتبت في وقت لاحق بيد الأحبار اليهود حسب أهوائهم ورغباتهم، وقد أثبتت الاكتشافات والدراسات العلمية الحديثة التي حددت تواريخ الوقائع التاريخية حسب تسلسلها الزمنى هذه الحقيقة التاريخية " [2].

ثانيا: ينبهنا القرآن الكريم إلى فرية ادعاء التوراة المحرفة والقائلة بأن

(1) المرجع السابق، ص 21 - 123.
(2) ما تقدم عن تحريف التوراة وأقوال القرآن الكريم في ذلك.

إبراهيم الخليل وحفيده يعقوب (إسرائيل) أجداد اليهود وأن اليهود من نسلهما، ففى الآيـة الكريمـة:{ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾} [آل عمران: ٦٧]، ما يوضح بأجلى بيان نفى هذا الادعاء من حيث الأساس، وبذلك يكون القرآن الكريم أول من كشف لنا عن هذه الحقيقة التي تعنى بأن إبراهيم ما كان على دين (يهوه) إله اليهود بل كان حنيفا مسلما أى مسلما على الفطرة، كما تعنى أن عهد إبراهيم الخليل هو غير عهد اليهود ولا يتصل بعهد اليهود الأخير الذي يرجع إلى أكثر من ألف عام بعد عهد إبراهيم الخليل وإسحاق ويعقوب [1].

ثالثا: ينبهنا القرآن الكريم أيضا إلى أن إبراهيم الخليل مرتبط بالجزيرة العربية (بيت الله العتيق) [2] وقد جاءت المكتشفات الأثارية حول الهجرات السامية من الجزيرة العربية إلى الهلال الخصيب ودراسة علم المقارنة بين اللغات مؤيدة لهذه الحقيقة نفسها التي تربط صلة إبراهيم الخليل بجزيرة العرب والحجاز [3].

رابعا: ينبئنا القرآن الكريم بأن الديانة اليهودية على عهد النبى موسى كانت في أصلها تقر بالبعث والنشور واليوم الآخر والحساب والجنة والنار ولكن أسفار العهد القديم التي بين أيدينا الآن تخلو من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه [4]، وهذا دليل آخر على أن التوراة التي كتبها اليهود في الأسر هى غير التوراة التي أنزلت على النبى موسى قبل ذلك بعدة قرون.

17 ـ هل كان اليهود أول من قال بعقيدة التوحيد!

أما ادعاء اليهود بأنهم أول من قال بعقيدة التوحيد وأنهم هم الذين قدموها للعالم وللبشرية وأن الفضل يرجع إليهم في وضع أسس الديانة التي يدين بها الموسويون والمسيحيون والإسلام اليوم، وهو الادعاء الذي يؤيدهم به كثير من الكتاب، فلا يستند إلى أى أساس أو واقع تاريخى، فهل كان نوح عليه السلام الذي عاش قبل أكثر من خمسة آلاف عام يهوديا، وهل كان الأنبياء الذين ظهروا بعده يهودا، وأخيرا هل كان النبى إبراهيم الخليل يهوديا؟. هؤلاء كلهم نسبوا إلى أصل

(1) انظر ما يلى في هذا المآل.
(2) سورة البقرة الآيات 125، 127، 128.
(3) انظر ما يلى في ذلك.
(4) الدكتور على عبد الواقى، " اليهودية واليهود "، ص 46.

واحد وهو الجنس السامى العربى، قد نادوا بعقيدة التوحيد قبل أن يكون هناك يهود في العالم، لذلك فإن حشر هؤلاء الأنبياء مع الشعب اليهودى في زمن لم يكن لليهود وجود فيه لا يتفق والمنطق بل هو تشويه للتاريخ وللحقائق. إن هؤلاء كلهم كانوا أنبياء نادوا بعقيدة التوحيد الخالصة، عقيدة الإله الواحد لجميع الأمم والمخلوقات، قبل أن وجد اليهود الذين اتخذوا إلههم الخاص بهم، فظهر بعض الأنبياء في الجزيرة ذاتها والبعض الآخر في العراق ومنهم نوح و إبراهيم الخليل عليهما السلام، وهؤلاء عاشوا بين الألف الثالثة قبل الميلاد وأوائل الألف الثانية قبل الميلاد.

وهناك دلائل على أن فكرة الإله العلى الواحد مالك السماوات والأرض كانت معروفة عند الكنعانيين بشكل من الأشكال، فالتوراة تشير إلى أن ملكى صادق ملك شاليم (أورشليم) الكاهن لله العلى عندما بارك إبراهيم الخليل قال " مبارك إبرام من الله العلى مالك السماوات والأرض " [1]. فهل كان الكاهن موحدا؟ فإذا كان الأمر كذلك فالأرجح أن فكرة الإله الواحد خالق السماوات والأرض كانت معروفة عند الكنعانيين وهناك من كان يؤمن بها ولاسيما في مدينة أورشليم المقدسة (مدينة السلام). ولعل استعمال الكنعانيين لنفس كلمة إيل الواردة في التوراة [2] للدلالة على الإله العلى مما يؤيد ذلك [3].

وتعترف التوراة كما سبقت الإشارة إليه بأن جماعة موسى عندما جاءوا إلى كنعان أن أهل كنعان ومنهم ملك موآب المدعو (بالأق بن صعور) ومعهم شيوخ مديان أرسلوا رسلا إلى بلعام بن بعور، وهو نبى موحد، وطلبوا إليه أن يلعن قوم موسى فأوحى إليه الرب بعدم الاستجابة إلى طلبهم، وهذا النبى هو نبى كنعان كان هو وشعبه يدينون بدين التوحيد. كل ذلك يدل على أن دين التوحيد كان معروفا عند الكنعانيين وكانت بعض قبائلهم تمارسه وهم من أصل عربى.

* * *

(1) (تك، 14: 18).
(2) (تك، 12: 8)، راجع أيضا (يش، 8: 9، 12).
(3) راجع أيضا (مز، 110: 4)؛ (عب، 5: 6).